روايات رومانسية عالمية
عبير



باميلا كنت

الفريسة

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية
عبير

الفريسة

الموت

والحياة بيد الله عزوجل .والحوادث التي

نتعرض لها جزء من قدرنا .كانت غاي بريئة الى حد

السذاجة فاستغلها مهربو الماس وارسلوها في رحلة لم تعرف عنها

شيئاً الى اسطمبول. لكن حظهم كان رديئاً فسقطت الطائرة ولم ينج من

ركابها سوى غاي.! فأين الحقيبة ؟ وكيف سيعمل المهربون وعلى رأسهم

امرأة داهية لاعادة الذاكرة الضائعة الى رأس غاي المسكينة ؟انها واقعة

وسط مجموعة من المحنكين ولا تعرف من معها ومن ضدها حتى

شارلز فيلبيه الذي لم يحجب رغبته بالزواج منها يمكن

ان يكون فرداً من افراد العصابة .

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية

١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

١- عصفور في قفص ذهبي

كانت غاي واقفة قرب الباب الزجاجي تراقب الناس وهم يضحكون ويثرثرون في القاعة الكبرى المكتظة بالمدعوين. يشبهون أيّ مجموعة في العالم ينتمي اعضاؤها الى المجتمع الراقي، ان كان ذلك في لندن، او باريس او مونت كارلو. مع ان النساء يتمتعن بمظهر اكثر غرابة هنا، غير ان تسريحة شعرهن وملابسهن نسخة مطابقة عن موديلات العواصم الأوروبية.

أما فيما يتعلق بالمجوهرات والحلى فأي امرأة تفضّل ان تراها بأمان في خزانة مصرف كبير أمنت عليه الحراسة الشديدة. لكن النساء الرائعات هنا بنظراتهن العميقة واسنانهن الناصعة، لا يعرن اهتماماً لهذه المخاوف، بشكل ظاهري بل يتلألأن بالماس والحجارة النادرة،

في قصر اورهان بك الذي يقوم بحفل استقبال اعتيادي. وحتى الرجال بعيونهم الداكنة كانوا جذابين للغاية...

كان بينهم عدد لا يستهان به من الضباط الشباب في اجازة رسمية وفي بزات نظيفة. يعطرون الجوّ برائحة سكائرهم التركية ويحتسون المشروب المقدم لهم ويتأملون بعيون خبيرة الكواحل الرشيقة والشفاه المطلية بمستحضرات التجميل الحديثة. يتصرّفون مثل أي رجل في اي عاصمة أوروبية.

لم تعد اسطنبول عاصمة، لكنها اصبحت مدينة تتعاظم بحداثتها وعصريتها.

ومن بعيد لمحت غاي اورهان بك. كان يحيي مجموعة من النساء المتقدمات بالسن. لكنه سرعان ما تركهن ليتوجه نحو مجموعة من الرجال المسنين. ولما رأته يستقر في مقعد كبير، حاملا بيده فنجاناً من القهوة التركية، قررت الفتاة ان الوقت حان لها للانسحاب بهدوء الى الخارج. وفي مثل هذه الساعة من السهرة كانت دائماً تشعر بصداع خفيف في رأسها. في الخارج يمكنها ان تسمع غناء العندليب المختبيء في الدغل، وأن تتمتع بهواء الليل العذب المعطر، وهدير بحر مرمرا.

لو كانت في مناسبة أخرى، لكان وجودها قرب البحر قد مدّها بسعادة لا مثيل لها، انما في الوقت الحاضر ليس هذا الوضع سوى وسيلة للتخلص من جوّ خانق.

لم تكن تعرف جيداً ماذا هناك من الجهة الاخرى، ولكانت ذهلت لو عرفت بوجود المحيط الأسيوي الواسع. بالنسبة اليها، الهرب يعني العودة الى العالم الطبيعي، هذا العالم الذي عرفته وحيث النساء الشابات والمتقدمات في السن يتصارعن من أجل وجودهن، ولسن

مغلفات بالترف من الصباح حتى المساء... نساء يأخذن القطار او الباص كل مساء في الخامسة والنصف ويعدن الى منازلهن الصغيرة لتحضير العشاء والجلوس امام الشاشة الصغيرة.

كانت هي أيضاً تعيش في شقة صغيرة، لكنها لم تعد تتذكر شكلها أو أين تقع. انها تعرف جيداً انها كانت تملك مفتاح الشقة، وان نافذة غرفتها تطلّ على حديقة جميلة. ربما تكون حديقة الهايد بارك بالذات. والباصات الحمراء كانت تمرّ في شارعها باستمرار، ليلاً ونهاراً. لكن، عندما كانت تحاول ان تحدد ذكرياتها بدقة- كالاثاث، والرقم المسجل على باب المدخل- كان كل شيء يختلط في ذاكرتها ويبدأ رأسها بالألم ويحتلها الخوف.

وكان اورهان بك يقول لها باستمرار، بصوته الناعم الرؤوف:

- هذا لا يجدي شيئاً. لا فائدة من محاولة اجهاد نفسك للبحث في ذاكرتك عن اشياء ترفض نفسها. مع الوقت سينجلي الضباب، فلست بحاجة الاّ لكثير من الصبر.

الصبر او تمرّ الأيام والأسابيع وهي ما تزال واقعة في الفخ! آه! لكنه فخ من الحرير والذهب!...

رأت غاي، في هذا المساء، **تشارلز فيلبيه** مرّة ثانية بعد لقائها به في الاسبوع الفائت. فقد انسحب خلسة وراء الباب الزجاجي، حيث التجأت الفتاة للتخلص من هذا الجوّ الخانق. عليها ان تذهب اليه حتى ولو اضطرت للبحث عنه، ذلك لأنه انكليزي مثلها ولا شك ان بامكانه مساعدتها فيما اذا طلبت منه ذلك. لم تكن غاي متأكدة كلياً أن في استطاعته مساعدتها، لكن ربما قبل الاصغاء اليها، على الاقل! وذلك بعيداً عن اورهان بك، حتى لا يتدخل بينهما

ويقول بلطفه المعروف انها متعبة قليلاً. . . ان صحتها ما زالت ضعيفة. . .

وباصرار فتحت الباب الزجاجي. سيجد تشارلز فيلبيه نفسه مضطراً للأصغاء اليها. بعد قليل كانت تطأ العشب الأخضر الكثيف الذي يفترش الحديقة بأكملها. وتنتعل صندلا خفيفاً وترتدي فستاناً من الساتان الاسود، من الطراز الرفيع الذي كان يتطاير حولها في نسيم الليل المنعش. كان القمر هلالاً شاحباً معلقاً في ظلام ليل اسطنبول، راح يلعب بشعرها ويحولها الى غيمة فضية.

راحت غاي تنظر الى مجموعة المرائب التي كانت في الماضي اسطبلات للخيول والسيارات الفاخرة تلمع بهدوء في ضوء القمر. ثم لمحت ظلاً يتحرك امام المرائب. لم يكن تشارلز فيلبيه ممشوق القامة، لكنه كان يتمتع بأناقة غريبة ورشيقة، تظهر في معظم حركاته. وهذا ما يجعل الآخرين يعرفونه بسرعة. وادركت غاي في الحال ان هذا الظلّ أمامها ليس سوى شبحه. كان يدخن سيكارة تضيء كلما مجّها، لكنها انطفأت كأن قدماً دعستها. ثم راح الظلّ يمشي فوق العشب.

وخلف المرائب، كانت تبرز بوضوح، في السماء، منارات القبة الزرقاء العديدة التي هي معجزة من الدقة والجمال. فروائع هذا الفن الشرقي تبدو بارزة اكثر في هذا الليل المخملي. انها ليلة لم يسبق لغاي ان رأت مثلها في انكلترا، وبرغم توترها الداخلي، نجح هذا المناخ الهادىء في تسكين اعصابها.

سمعت وقع خطى حازمة على العشب قربها، وصوت رجل يقول:

- هل تبحثين عن احد ما، يا آنسة ميتلاند؟

للمرّة الاولى كان الحظ بجانبها. اجابت غاي بدون تردد:

- آه، نعم! كنت ابحث عنك!

لم تظهر الدهشة على وجه تشارلز فيلبيه الذي أمسك بيد الفتاة واخذها بعيداً عن النوافذ المضاءة وقال:

- في هذه الحال، ربما من الأفضل ان نكون بعيدين عن هذا المكان، اذ بامكان الجميع رؤيتنا. ربما انتاب حارسك والمدعوين الريب اذا لم نتدارك الأمر بحذر ووعي.

- هل بامكاني التحدث اليك بصراحة؟

اجابها بصوت مليء بالاطمئنان كأن الأمر طبيعي جداً.

- طبعاً، طبعاً، المشكلة الوحيدة المطروحة هي: الى اين نذهب؟ بامكاننا ان نجلس في المقعد الخلفي في سيارتي، لكن هناك ايضاً يمكننا ان نثير الشك في من يرانا. هل تعرفين مكاناً آخر مناسباً؟

- لا، لا سيارتك هي الحلّ المفضل. . .

بقلق وحيرة تعلقت الفتاة بمرفق الرجل واخذته باتجاه المرائب وقالت:

- . . . لا اريد اضاعة الوقت. المدعوون سينسحبون بعد قليل. أين سيارتك؟ هل. . . هل هي واحدة من هذه السيارات؟

- لا، انها في مكان بعيد، خلف المنعطف.

توجه نحو مكان سيارته ورأت غاي سيارة ليموزين فاخرة، تشبه السيارة التي تعودت قيادتها خلال الأشهر الستة الفائتة. دعاها الى الدخول قائلا:

- اصعدي، من فضلك.

جلست غاي في المقعد الخلفي وهي ترتعد من الخوف.

- هل تشعرين بالبرد؟

قطب حاجبيه وهو يطرح عليها السؤال، ذلك لأن الليل دائماً منعش في البوسفور، لكن كانت هذه الليلة بالذات ناعمة بشكل خاص.

هزّت غاي رأسها وقالت بصراحة:

- لا. لكنني... اعتقد اني متوترة قليلا.

سألها بلهجة مقتضبة:

- هل انت خائفة؟

- آه! لا، لا اعتقد ان ذلك عائد الى الخوف.

ظهرت تجعيدة عميقة على جبهة تشارلز فيلبيه لكنها لم تلاحظها. سألها:

- هل تأخذين سيكارة؟

اخرج علبة ذهبية راحت تلمع أمام شعاع القمر ولمحت وجهه لحظة، هذا الوجه القاتم النحيل، كأنه رأس انسان متوحش وفظ. كانت عيناه تحدقان بها. عيناه الرماديتان البراقتان. اجابت:

- انا لا ادخّن عموماً.

- غير انه من الأفضل ان تدخني الآن. انت متوترة هذا المساء، يا آنسة ميتلاند..

قاطعته بسرعة قائلة:

- لست بالآنسة ميتلاند. هذا ما اردت ان اقوله لك، يا سيد فيلبيه. لست سيسيل ميتلاند، انما ادعى غاي نيكولسون!

- آنسة نيكولسون؟

- نعم، طبعاً، آنسة!...

وبيد مرتجفة وضعت السيكارة التي قدمها لها على المنفضة وامسكت ذراعه، ثم رفعت نحوه عينيها الزرقاوين المتوسلتين وقالت:

-... لا احد يصدقني هنا، ولهذا السبب اردت ان اتحدث اليك. انت انكليزي، وأول مواطن التقي به هنا، ولهذا السبب اعتقد انك ستصدق ما اقوله. لماذا اتصنّع بأني ادعى غاي نيكولسون، اذا كنت فعلا سيسيل ميتلاند؟ انت تفهمني، اليس كذلك؟

- لماذا؟

- لأن... لأننا من بلد واحد، على ما أظن.

- انت تعلقين ثقة كبرى على هذا الأمر. لكن لا شك انك تقصدين بذلك أننا ننظر الى الأشياء بالطريقة نفسها، أي اننا نفكر بالمنطق. لكن الأشخاص، مثل اورهان بك، باستطاعتهم ايضاً ان يكونوا منطقيين، وليس بالطريقة نفسها.

- نعم، لقد فهمت! يهيأ اليّ انني صدمت بجدار. لقد عبّر اورهان بك عن لطف كبير، لكن كل هذا خطأ... خطأ كبيرا! وانا لا استطيع ان ابرهن ذلك. من أجل هذا اطلب منك مساعدتي.

- أنا؟ صديق اورهان بك؟

- هل انت احد اصدقائه المقربين جداً اليه؟

تفحصت الفتاة وجه الرجل في الظلام، وفي عينيها علامة استفهام.

قال تشارلز فيلبيه وهو يحدق بسيكارته:

- قبل ان أقول شيئاً، هل توافقين ان تردي على سؤال سأطرحه عليك؟

اجابت غاي وهي تشبك اصابعها ببعضها بشدة:
- نعم، بكل تأكيد.
- ماذا تعرفين عني، عدا كوني ادعى تشارلز فيلييه ومن الجنسية الانكليزية؟
فوجئت غاي وقالت:
- لا شيء... لا شيء ابداً!
- هل تعرفين منذ متى أعرف اورهان بك وماذا افعل لأكسب رزقي؟
- هل... هل انت تعمل لتكسب رزقك؟
- معظم الرجال يعملون للحصول على لقمة العيش. وحتى اورهان بك نفسه، وهو الميلونير المعروف، لديه مكتب يمضي فيه بضع ساعات كل يوم. وصدقيني، فهو يعمل حقاً خلال هذه الساعات...
وتهيأ لها انه ينظر اليها بعينين غريبتين، ويحدق فيها بشدة الى درجة انها كادت تشعر بالانزعاج لو لم تكن متوترة.
اضاف يقول:
-... اذن، انت لا تعرفين. انا عالم بالاثريات وأعمل هنا منذ سنوات عديدة؟
اما زلت تعتبرين انك على استعداد ان تثقي بي اكثر من ثقتك باورهان بك الذي عاملك حتى الآن معاملة حسنة؟
- طبعاً... طبعاً!
- حسناً. لو لم تكوني تجتازين محنة صعبة، لشعرت بالاطراء لثقتك بي هذه!
والآن، قولي كل شيء عندك.
همست بصوت اجش قائلة:

- ماذا تعرف عني حتى الآن؟
رفع كتفيه وقال:
- اعرف ما قاله البك لجميع اصدقائه. انت ابنة زوجته الانكليزية، التي توفيت منذ وقت قصير. لقد جئت الى انكلترا لتعيشي معه. لا اعرف ماذا كنت تفعلين قبل مجيئك، لكنني أظن انك كنت ما تزالين طالبة...
كان تشارلز فيلييه يتأمل غاي. وقربهما بحر مرمرا يموج بهدوء. وفي المنزل أدار احدهم المذياع على أغنية عذبة تصل الى اذنيها. اضاف يقول:
-... تبدين شابة، لذلك اعتقدت انك ما تزالين طالبة.
- عمري ٢٤ سنة وتركت المدرسة منذ سبع سنوات.
- لا شك ان سيسيل ميتلاند كانت تدرس في معهد خاص وان اورهان بك كان متكفلاً بدفع المال لدراستها. كما لا اعتقد انه سبق ان رآها، اليس كذلك؟
- كلا... آه! كم انا متأسفة على ذلك!
وضعت غاي يدها على عينيها وبدت متألمة، فسألها الرجل بلطف مفاجىء:
- هل اكمل الحديث ام تريدين ان تتحدثي انت؟
- اكمل، ارجوك.
تناول بطانية مصنوعة من وبر الجمل ووضعها على كتفيها وقال:
- لا احب ان اراك ترتجفين، حتى ولو كان الامر عصبياً فقط...! حسناً. سقطت طائرتك فوق بحر ايجيه، قرب الساحل، وكنت انت الناجية الوحيدة... آسف ان اتكلم هكذا، لكن الأمر على درجة

كبيرة من الاهمية. كان اسمك مسجلا على لائحة المسافرين تحت اسم سيسيل ميتلاند. ولم يكن هناك أثر لغاي نيكولسون. وفوق كل هذا، كل مواصفاتك تنطبق كلياً على الآنسة ميتلاند. لقد سبق لوالدتك، عفواً، لزوجة اورهان بك الثانية، ان قالت دائماً أنها فخورة بك. غير انها لم ترسل اي صورة عنك... هذا امر غريب للغاية! كيف تفسّرين ان لكما الشعر الذهبي نفسه، والعينين الزرقاوين نفسهما والجسم الجميل نفسه؟ اتساءل عن ذلك... نعم، اتساءل حقاً.

نظرت اليه غاي نظرة مأساوية وقالت:

- انت تعتقد مثل الآخرين، الاطباء، والممرضات، واورهان بك نفسه، انه بسبب تأثير الصدمة النفسية، ما زلت اعاني حتى الآن فقدان الذاكرة التي ستزول يوماً ما؟ نعم، جسدياً شفيت كلياً وكل شيء على ما يرام، ما عدا كوني لا اعرف الشيء الكثير عن نفسي. لكنني أقول لك شيئاً واضحاً: انا اعرف من اكون!... بعض التفاصيل تفلت مني، لكنها ستعود يوماً بعد يوم، وبامكاني ان ابرهن للجميع انهم على خطأ.

- صحيح؟

- نعم! اعرف انني ادعى غاي نيكولسون، وكنت اعيش في لندن. وحتى لو قلت لي ان سيسيل ميتلاند كانت هي أيضاً تعيش في لندن، فذلك لن يغير شيئاً، لأن سيسيل لم تكن تعيش في الاحياء التي عشت فيها انا! كنت أعمل لاكسب رزقي... و... اعتقد انني كنت اطبع على الآلة الكاتبة.

عارض بهدوء قائلا:

- معظم الفتيات يطبعن على الآلة الكاتبة. وهذا ضروري للفتاة من

أجل اكمال دراستها.

نظرت اليه بلوم حزين وقالت:

- كنت اطبع على الآلة الكاتبة لأنني كنت مضطرة لذلك.. لأدفع اجرة شقتي وأعيش واشتري الملابس.

- الم يكن لديك أهل او أقارب؟

- لا اعتقد... لا، انا اكيدة من ذلك، لأنني كنت اعيش وحدي. كنت أسكن في غرفة صغيرة... وكنت اسمع صفارات البواخر في الليل.

- تشلسي؟

- هذا ممكن، اليس كذلك؟...

لكنها لاحظت انه يسخر منها فابتعدت الى الوراء كأنه صفعها.

فاضافت تقول:

-... نعم كنت أعيش هناك، ارجوك صدقني! كنت احضر طعامي بنفسي... واستعمل جهاز الهاتف المعلق في ممرّ البناية! و... في المساء الذي سبق سفري، تناولت العشاء مع شخص ما. وقال لي انه سيراني في اسطنبول. نعم! انا اتذكّر الآن! كان رجلا... انا اكيدة ان من دعاني الى العشاء كان رجلا!...

- هذا ما يحصل عادة.

- لا، لا! انت لا تفهمني! ليس الرجل صديقاً لي، ولا احداً احبه!... في الواقع...

- في الواقع؟

ضغطت غاي اصابعها على صدغيها ونظرت اليه بخيبة أمل وبألم، كأنها تطلب منه ان يساعدها. فناحت تقول:

- لم... لم اعد اتذكر المزيد!

ضمها تشارلز فيليبه اليه فترة قصيرة قائلا:
- اسمعيني، يا صغيرتي. اذا كان هذا الرجل الذي تناولت العشاء معه وعدك بان يلتقي بك هنا، فكيف تفسرين عدم قيامه بالبحث عنك؟ لماذا تجهل السفارة البريطانية كل شيء عنك؟ لماذا لم يسأل احد عن الفتاة الانكليزية الرائعة ذات العينين الزرقاوين والشعر الذهبي، التي تدعى غاي نيكولسون؟ الا وجود لها؟
- نعم... نعم، لا شك بذلك. هذا امر غريب، اليس كذلك؟
رنت أصوات داخل الحديقة. فقال فيليبه:
- اسمعيني. لا أرفض ان اصدقك، لكن لم يعد لنا الوقت كي نناقش هذا الامر، الآن. هل تحبين ان نلتقي في مكان آخر غداً؟ هل يسمح لك بالخروج وحدك؟
- نعم، بامكاني ان اقود سيارة تعهد اليّ.
- اذن لنلتقِ في فندق الكومودور. انه فندق جديد يديره الأميركيون. ولا أحد يصدم لرؤية فتاة وحدها على موعد مع شاب. هل يوافقك ان نلتقي في الواحدة؟
وافقت الفتاة مثل طفلة تطيع أوامر مربيتها وقالت:
- نعم، اتفقنا.
- غير اني احب ان اعرف شيئاً واحداً: لماذا تصرّين على ان تبرهني هويتك؟ انت الآن تعيشين في الترف ويكن لك البك حباً كبيراً ولا ينقصك شيء. اذن، لماذا هذه الحاجة الملحة؟
- ذلك لأنني لا أطيق العيش مثل عصفور وضع في قفص مذهب! أريد ان اكون حرّة! حرّة ان اعيش حياتي كما اريد! وهناك أيضاً...
- نعم!
- وافقت والدة سيشيل ان تزوج ابنتها وفقاً لما يرغب به البك. وقد

وقعت العيون على أحد سيصل عما قريب... في آخر الأسبوع المقبل، بالتحديد!
- حسناً. أما الآن، فعودي الى القصر وحاولي ان تكوني كتومة قدر المستطاع.
سأراك في الغد.
لما رآها تشارلز في وضح النهار، في اليوم التالي، اندهش، ذلك لأنها كانت تشبه أي فتاة تتوجه الى موعد مع رجل شاب.
كانت غاي ترتدي ثوباً من الحرير الفاخر، ولونه الازرق يتناسق ولون عينيها الفاتحتين اللتين يشوبها بعض الغموض احياناً. اما رموشها فكانت ذهبية في اطرافها ومنحنية جزئياً. وتسريحة شعرها لم يسبق ان رأى تشارلز بجمالها. وعلى ضوء الشمس كان لون شعرها قمحياً دافئاً.
كان واقفاً في اعلى السلالم داخل الفندق يراقبها بامعان وهي تهبط من السيارة وتتوجه الى الداخل. كانت خطواتها انيقة مثل عارضة الأزياء. فهبط تشارلز السلالم بسرعة. حيّته بنظراتها التي اثرت به بشكل غريب. فقال:
- سأقترح عليك كأساً تشربينه في الشرفة قبل الغداء. ماذا تأخذين؟
- عصير الليمون الهندي، لو سمحت.
ابتسم لها تشارلز فيليبه وقال:
- تبدين ضائعة وسط بيئتك الحالية! ولا شك ان عليك اكتساب عادات باهظة مختلفة!
ببساطة اذا نقلنا زهرة نادرة الى بيئة قاسية فستموت، والعكس صحيح ايضاً!
قالت الفتاة وهي تحدق بعناء في كأسها:

- اعتقد انني مهددة بالموت اذا فرض عليّ ان أعيش هذه الحياة بصورة مستمرة. ذلك انني لست زهرة نادرة، اليس كذلك؟

- غير انك تشبهينها.

- انا فتاة عادية جداً... واشعر بذلك في اعماق ذاتي. انا انسانة عادية جداً.

ابتسم لها تشارلز فيلبيه. وابتسامته جميمة فعلا. حدقت به من تحت رموش عينيها الطويلتين ووجدت انه حقاً رجل جذاب... وجاذبيته خطرة جداً. لكن لماذا لم تلاحظ ذلك من قبل؟ ولماذا عندما تمسكت بذراعه من دون ازعاج، لم تر فيه الاّ وسيلة للهرب؟

شعرت بخجل فجاة لتصرفها الوقح الذي صدر منها بالامس وسمعته يقول:

- حسناً، يا ايتها الآنسة العادية جداً، يا غاي نيكولسون. لنعتبر اذن انك لست بزهرة نادرة ولنعلن ان اي حديث جديد ممنوع قبل الغداء. اتفقنا؟

وافقت الفتاة بعد ان احمرّت وجنتاها قليلا وقالت:

- هذا لطف منك ان تدعوني الى الغداء.

- لا ابداً. انا أحب دائماً رفقة الشابات الجميلات والجذابات.

ولسبب خفّي، زاد احمرار وجهها.

كان الفندق مبنياً على قمة تلة، ومن الشرفة المنظر رائع يطل على الحدائق المزروعة باشجار النخيل الممتدة حتى البوسفور. وهذا المضيق الذي يفصل قارتين ويصل بحرين من أجمل بحار العالم، ينعش المدينة في ساعات الحرّ الصيفية اللاهبة. وفي هذا اليوم، كانت الشمس حارة جداً والمظلات الكبيرة فوق رأسيهما لا تقيهما من

لهب الحرّ الشديد. لكن منظر البوسفور الفضي اللماع يكفي وحده ليعطي احساساً بالانتعاش والبرودة. وفي سفح التلة، بدت مياه المرفأ زرقاء الى درجة انها تؤذي العين. ومن بعيد بدت المدينة كأنها شائكة بالقبب والمآذن.

قال تشارلز فيلبيه بلهجة حالمة:

- يا لها من مدينة غريبة، اسطنبول! القديم والجديد لا يكتفيان بالوجود جنباً الى جنب. يبدو انهما يجتهدان كي لا يجتاح بعضهما الآخر. القديم مصرّ على الاستمرار والجديد حديث جذرياً. في المخازن والمحلات، يمكن للمرء ان يشتري كل ما يحلو له، من الغسالة الى آخر اسطوانة عصرية...

هزت غاي رأسها وصرخت قائلة:

- ربما ما سأقوله سيدهشك غير انه بالرغم من وجودي هنا منذ عدة اشهر، فلا اعرف المدينة الاّ قليلا. لقد زرت السوق الكبير، طبعاً. واروع ما في الأمر هو وجود الفرو والحرير والحلى والعطور وكل الاشياء الرائعة تحت سقف واحد! كما زرت بعض اصدقاء البك. لكن، ما احب فعله، هو زيارة الاحياء القديمة، ودراسة الهندسة المعمارية ولقاء الناس... وهذا لا يسمح لي بتحقيقه.

- اذن، هذا اليوم هو فريد من نوعه؟

- ليس تماماً. قلت ان لدي موعداً للغداء.

- ولم يطرح عليك السؤ ال، اذا كان هذا الموعد مع رجل أو مع امرأة؟

احمرّ وجه الفتاة وقالت:

- كذبت وقلت انني على موعد مع امرأة.

ابتسم لها وقال:

- هم... هم...! لكنني مقتنع ان هذه الكذبة كانت صعبة

عليك، اليس كذلك؟

لست بامرأة تحب الالغاز. . . حسناً! لنذهب الآن ونتناول الغداء، هل توافقينني؟

في البدء اعتقد تشارلز ان غاي لن تمدّ يدها الى الطعام لشدة ما كانت متوترة. لكن تدريجياً، خف اضطرابها في هذا الجوّ الرائع داخل المطعم وديكوره الغربي الرفيع.

تحدثا عن علم الاثريات وعرفت الفتاة ان مهنته هذه هي وسيلة العيش الوحيدة لديه. وبينما كان يحدثها عن المدن المنسية والآثارات المدفونة تحت التراب، تلألأت عيناه الرماديتان كأن هناك شعلة تلتهب في بؤبؤهما. هذه الشعلة تبعد عن وجهه كل ملامح السخرية وتجعله مضيئاً ونشيطاً ومتحمساً.

لكن غاي شعرت ان هذا الرجل ليس سعيداً فعلاً الآّ عندما يؤدي عمله.

كان يتحدث في بلاغة كبيرة، مما جعلها تجد صعوبة في ان تتخيله موجوداً داخل صحراء لاهبة، وسط مخيّم بدائي، يعطي لقافلة الجمال الأمر في مواصلة الطريق. وفي المساء، يجلس امام خيمته تحت ضوء القمر، يراجع ما وجده خلال النهار، من حجارة ناعمة ووجوه وقطع فخار وخزف وحتى عظام انسان. . . كان منغمساً في سرده الى حدّ انها شعرت بالانزعاج. كيف باستطاعته العيش بمثل هذه الوحدة، بعيداً عن اهله واصحابه؟

زارا تشارلز فيليبه البتراء والاردن والمكسيك، واماكن الحضارة فيها. وقد عاد لتوه من سوريا وهو الآن يخطط لمشاريع جديدة. لكن عندما سألته غاي عن نوعية هذه المشاريع، تمنع من الرد على سؤالها وتجهم وجهه. يا له من انسان سرّي! ماذا يرغب اذن من هذه

الحياة، على الأرض وبما رغبته العزيزة عليه هي ببساطة، الاستمرار بالتنقيب عن التاريخ والاهتمام بالاشياء الميتة.

غير ان هذه الاشياء بنظره حيّة؛ والنساء؟. . . انه من نوع الرجال الذين تسحرهم النساء، بشكل واضح. لكنه ليس متزوجاً. هل هو خاطب اذن؟

فسألته غاي:

ـ الا تشعر احياناً انك تعيش حياة وحيدة وموحشة؟

ردد بلهجة ساخرة:

ـ وحيدة وموحشة؟ تريدين معرفة اذا ما كنت أرغب في الاستقرار، بالزواج والعائلة؟ لا، يا صغيرتي، لا أنوي ذلك! الاثريات والنساء لا يتفقان. . . اوبالاحرى، الاثريات والزوجات! لا تسيئي فهمي، صحيح انني لا انوي الزواج، لكنني كائن انساني. اجد احياناً ان النساء جذابات!

شعرت غاي بالاحمرار وبالخجل. كلامه اعتراف جعلها تضطرب وتشعر بالصدمة، وربما بخيبة الأمل.

هكذا اذن، لن يتزوج ابداً. . . فقساوة فمه تقول بأن قراره لا رجوع عنه. لكن ذلك مؤسف للغاية. والمؤسف في الامر انه يعتبر النساء رفيقات للتسلية وضروريات من وقت الى آخر.

احتسيا القهوة في الصالون لأن الجوّ هناك منعش والاضاءة ليست قوية. وانتظر السيد فيليبه ان تنتهي غاي من احتساء قهوتها ليسألها:

ـ اذن؟ لنتحدث عنك في الوقت الحاضر؟

وضعت فنجان قهوتها على الطاولة بامعان لأن يديها بدأتا بالارتجاف وقالت:

- هل تصدّق، يا سيّد فيليبه اني قلت لك الحقيقة، مساء أمس؟
- اعتقد انك كنت مقتنعة بأنك تقولين الحقيقة.
- لكن، هذا لا يكفي! آه! ارجوك! انا ادعى غاي نيكولسون. يجب ان تصدقني.

تجنب نظرها وقال:

- صباح اليوم، تحدثت مع الطبيب الذي اهتمّ بك. انه صديق لي وانا مقتنع كلياً انه لا يكذب ابداً... فهو متأكد انك ابنة البك. وقال لي انك اصبت بجروح في رأسك خلال الحادث، وهذا ما يبرر هلوساتك الحالية. ويوماً ما ستقتنعين كلياً انك حقاً سيسيل ميتلاند.

اجابت بهدوء:

- ابداً.

وهذه المرّة رفع عينيه ونظر اليها وجهاً لوجه واضاف يقول:

- وتحدثت ايضاً مع موظف شركات الطيران واتصلت بالقنصلية البريطانية، لكن لا أحد سمع بغاي نيكولسون.

رأى ارتجاج ذقنها. وبطريقة آلية راحت تبحث عن منديل في حقيبة يدها وقالت:

- وانت تصدق ذلك ايضاً؟
- لا، لا... لا أعرف ماذا أصدق. لكنني أريد منك ان تحاولي جهدك الرجوع بعيداً في ذكرياتك. هذا الرجل الذي تناولت معه العشاء في انكلترا... الا يمكنك ان تحاولي وصفه؟

هزت رأسها بحزن وقالت:

- كلا. لا أستطيع ذلك.
- الا تعرفين اذا كان هذا الرجل صديقاً أم أن هناك مجرد معرفة

سطحية؟ ربما علاقة عمل مثلاً؟
- اعرف انه ليس صديقاً.
- كيف بامكانك التأكد من ذلك؟
- انا... متأكدة وهذا كل شيء.

قال فجأة وبفظاظة:

- يا آنسة ميتلاند، السْت بصدد جرفي في مهمة مستحيلة، بطريق الصدفة؟ ألست متورطة في عملية ما جعلتك تهربين؟ وانك، في الوقت الحاضر، ومن أجل الأمان والاستقرار، تحاولين تغيير هويتك للتأكد من ان احداً لن يجدك؟

دهشت غاي الى درجة انها اكتفت بالتحديق فيه مطولا. ثم بدأت شفتها السفلى بالارتجاف وكادت ان تعض عليها بعنف لتوقف ردة فعلها المباغتة.

ثم قالت:

- لا اعرف ماذا تعني بهذه «العملية»، غير ان هذا يبدو لي أمراً سافلا وبشعاً للغاية... خاصة انك تلمح بأنني أريد التهرب من عواقب افعالي. ربما لا اعرف من اكون، او بالاحرى، اعرف ذلك، لكنني ما زلت غير قادرة على اقناع الغير بذلك. لكنني ليس لدي «عمليات». كما سبق أن قلت.

انحنى نحوها وراح يداعب يدها بحنان ويقول:

- أنا آسف... كان يجب عليّ ببساطة ان اتأكد من الامر... لم اكن بحاجة الى ذلك، لكنك فتاة جميلة، اذا سمحت لي ان أقول ذلك... والفتيات الجميلات يضايقن في أغلب الاحيان.
- لا اعتقد انني ضايقت احداً من قبل، بهذه الطريقة.
- لا شك انك كنت تعيشين وسط العميان!

تقدم الخادم من الطاولة وطلب منه عالم الاثريات مزيداً من القهوة.

ثم اضاف يقول:

ـ وفي ما يتعلق بمشروع الزواج الذي تحدث عنه بالامس، هل تعرفين من يكون الرجل المعني بالامر؟

ـ كلا، لم اره، بل هو ابن اخ البك. يدعى كريم ويدرس الطب في لندن وسيصل في آخر الاسبوع المقبل.

ـ الاّ تشعرين بفضول للتعرف اليه؟

ـ لا، لأنني اعرف سبب زيارته. جاء ليأخذ فكرة عني!

ـ لا، هذا غامض وغريب! لا شك انه يعمل بجهد لينجح في امتحاناته وهو يستحق اجازة في كل حال، لقد سبق أن التقيت باولاد اخيه ورأيتهم لطيفين وجذابين. الا تريدين حقاً الزواج من رجل تركي، غني وجذاب؟...

اكتفت الفتاة بهزّ رأسها بصمت. فأضاف يقول:

ـ... حقاً اجدك ضائعة. يقدم لك الآخرون حياة رائعة، وانت تصرّين على العودة الى الفقر والتستر. فكّري ملياً، يا ابنتي الصغيرة. واذا ما زلت اكيدة من نفسك، فساعرض عليك الخطة التي رسمتها لك. وبعدها، اذا كنت عاقلة، ساعيدك الى شقتك بالطرقات الضيقة التي حدثتني عنها... الاّ اذا كنت تخشين ان ينتج تعقيدات لعودتك.

اجابت بهدوء:

ـ لا اخشى العواقب. واذا جئت اطلب مساعدتك، يا سيد فيليبه، فذلك لأنني يقينة بأنك لا تخشى هذه العواقب. في كل حال، انت لا تخاف من أي شيء اليس كذلك؟

ـ انت مخطئة، فهناك شيئان او ثلاثة اشياء ترغبين فيها... لكنها ليست اموراً بامكاني التغلب عليها بالأيدي، ولا حتى بالسيف او المسدس! في الوقت الحاضر، اصغي اليّ جيداً.

٢- الكاتبة الغريبة

في المساء نفسه وصلت فاليري لنسداون، الكاتبة المستكشفة المشهورة في العالم اجمع، الى شقتها الواقعة في حيّ قديم في اسطنبول. وكانت تتساءل لماذا تشعر باضطراب وتوتر، وادركت أخيراً ان ذلك ربما يعود الى الحياة الهادئة التي تعيشها في الآونة الاخيرة. فضلاً عن كونها منزعجة جداً من تشارلز فيلبيه، حتى انها لم تعد تعرف ما تفعله.

ادخلت سيارتها تحت القبة البيزنطية القديمة واركنتها في ساحة القصر الذي تحوّل الى شقق فخمة تسكن هي واحدة منها. فتح لها مساعدها مصطفى الباب، وشعرت بارتياح عندما لاحظت عدم وجود بطاقات دعوة فوق المدفأة. فقد ملّت الزوار... والجميع!

قالت لمصطفى وهي ترمي قفازيها وحقيبة يدها على الطاولة الصغيرة:

- الظاهر ان فترة بعد الظهر كانت هادئة، يا مصطفى.

- اتصل بك السيد فيلبيه مرتين، يا سيدتي.

ركلت المرأة الارض بغضب وأمرت مصطفى قائلة:

- اتصل به في الحال، ودعه يكلمني!

- حسناً يا سيدتي.

وبينما كان المساعد يطلب الرقم، كانت فاليري تذرع أرض الغرفة ذهاباً اياباً، بتوتر شديد. فهي حقاً امرأة نحيلة جداً، واجهت عن قرب النمور والاسود، وقطعت الصحراء وحدها، برفقة الحمّالين الذين كانت تلتقيهم في طريقها، وكل حركة من حركاتها تدل على الرشاقة والخفة الا ان عينيها السوداوين قادرتان على الاشتعال في المناسبات...

وفي هذه اللحظة كانت عيناها تعكسان توتراً حيوياً وبعض الكبت. لكن، عندما نظرت الى نفسها في المرآة الكبيرة، بدأت عيناها تلينان، كأن صورة وجهها الشاحب اعطتها بعض التوازن. مدّ لها مصطفى سماعة الهاتف العاجية وفي الحال اصبح صوتها ناعماً، عميقاً ودافئاً.

- تشارلز! انا متأسفة لأن مصطفى لم يعلمك بعودتي! لقد خرجت قليلا للقيام بشراء بعض الحاجيات في السوق الكبير، هذا يرفع من معنوياتي...

ضحكت قليلا عندما ردّ عليها تشارلز بأدب ولياقة، ثم تابعت تقول:

- طبعاً انا أرغب في ان أفعل شيئاً من اجلك! انت تعرف جيداً انني

على استعداد ان افعل ايّ شيء من اجلك، يا تشارلز! خاصة اذا وافقت على العشاء معي هذا المساء... اتفقنا؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامة نصر ولان صوتها اكثر فأكثر.

- ... حسناً!... سأنتظرك اذن في المساء بفارغ الصبر. ماذا تريد مني بالضبط، يا عزيزي؟

ومن جديد قطّبت حاجبيها وقالت:

- ... لكن، يا تشارلز، الست متهوراً بعض الشيء؟ لم ألتقِ بابنة اورهان بك، لكن سمعت عنها مثل اي انسان آخر. والدتها كانت واحدة من النساء الجميلات التافهات اللواتي يحببن العيش تحت حماية الرجال المسيطرين. والبك، بلا ريب، رجل مهيمن وذو سيطرة قويّة. سمعت انه يخطط مشاريع لابنته... يريد ان يزوجها من اصغر ابناء اخيه، كريم... انه شاب يتمتع بجمال غريب، لكنه شخص غير مرغوب فيه في العائلة. ويسبب لعمه المشاكل الكثيرة. الظاهر انه اشترك اخيراً بعملية غير نظيفة... ما رأيك؟ تشارلز! لا يمكنك ان تتدخل بهذه القصة بحشمة ولياقة! انت تعيش في هذا البلد منذ زمن بعيد وتعرف ان بعض الامور لا يمكنها ان تحصل هكذا! اما بالنسبة الى هذه الفتاة التي تتظاهر بانها شخص آخر، فهذا شيء غريب وغامض! فقدان الذاكرة! معظم المصابين بحوادث من هذا النوع يشكون من فقدان الذاكرة.

اجابها تشارلز فيليبه بحدة:

- اريد ان تسمحي لي ان ادعوها معك للغداء نهار غد. وكذلك اريد انا اطلب منها ان تمضي بضعة أيام عندك. لن يسبب ذلك حرباً اهلية، انما سيتيح لهذه الفتاة المسكينة ان تستريح قليلا.

سألته فاليري بجفاف:

- كم عمرها؟

كذب قائلا:

- لا أعرف. حوالى العشرين سنة...

- هل هي جميلة؟

- الفتيات الجميلات لا يستهوينني، يا عزيزتي. لكن الجواب على سؤالك هو نعم، انها جميلة.

- هل هي شقراء باهتة مثل والدتها؟

- انها شقراء، نعم.

- اذن، ليس هناك ايّ شك بما يتعلق بهويتها. وما دمت مصرّاً على الامر، فاصطحبها معك. وبامكانها ايضاً ان تبقى عندي بضعة ايام، اذا سمح البك بذلك. لا يجب ان ندع هذا الرجل يقف ضدنا!

- لا انوي ذلك ابداً. سأطلب الاذن منه.

- لا تنسَ ان علينا الذهاب معاً، بعد أيام قليلة، يا تشارلز. لا تفرض عليّ هذه الفتاة لمدة طويلة، فلن يكون الامر صادقاً، لا نحوي ولا نحوك.

اجابها ببساطة:

- صحيح.

وعندما وضعت السماعة مكانها، فقد وجهها كل هدوئه. ظلت برهة متكئة على الجدار تعضّ على شفتيها بغضب. وتوترها كان شديداً وظاهراً الى درجة ان مصطفى وهو يعبر الغرفة رمقها بنظرة متسائلة.

- سيأتي السيد فيليبه ليتناول العشاء معي، يا مصطفى. فتأكد ان يكون الطعام شهيّاً ولذيذاً وان تكون الطاولة مزينة على ذوقي!

- طبعاً، يا سيدتي.

خرج من الغرفة وراحت المرأة تضغط على معصمها، وتقول:

- تشارلز رجل مستحيل يتصوّر ان بامكانه الحصول على كل شيء. لكن هذه المرّة، طفح الكيل!

ولشدة غضبها عضت على شفتها بقوة، فأنهمر الدم على اسنانها البيضاء.

وفي الغرفة الفاخرة الذي وضعها اورهان بك تحت تصرّف الفتاة، وضعت غاي الهاتف مكانه وراحت ترتدي فستاناً من الدانتال الزهري الفاتح الذي كانت تقدمه لها خادمتها.

كانت الفتاة ما زالت تفكر بلقائها اللطيف مع تشارلز فيلييه. فقد اتصل بها الآن ليعلمها ان السيدة فاليري لنسداون وافقت على مساعدتها. وهذا الخبر السعيد ساعدها على الشعور بالارتياح.

لقد سبق أن قرأت عدة كتب للمؤلفة، التي تكن لها كل اعجاب... هذه الارملة التي ترفض استعمال كلمة «خوف» في اسلوبها، برغم كونها شديدة الانوثة كما يبدو من خلال صورها الفوتوغرافية.

لقد تصدت للحيوانات المفترسة وكانت تتناول العشاء وحدها مع قائد القبيلة. ووصفتها الصحف والمجلات بأنها «اروع مغامرة في عصرنا».

وغاي لم تكن قادرة ان تبرهن عن هويتها الحقيقية، وكانت ترتعب امام امكانية قضاء حياتها كلها حاملة اسم فتاة اخرى. وبالنسبة اليها، ان توافق امرأة مهمة على مساعدتها امر يريحها كثيراً.

لا شك ان السيدة لنسداون ستجد الحقيقة في قصتها. لقد قال لها تشارلز فيلييه انه يعرف الكاتبة منذ عدة سنوات. وحسب ما قالة ان

هذه المرأة متى قررت القيام بشيء ما، فمن المستحيل اقناعها بالرجوع عن قرارها. وفي رأيه انها اجدى منه، فهو لا يعرف ان غاي تعتبره اداة النجدة القدرية. ومهما كان باستطاعة السيدة لنسداون ان تفعله، فتظلّ غاي تعتبر ان تشارلز هو مخلصها الحقيقي الوحيد.

لكن عندما نزلت الى الطابق الاسفل لتناول العشاء، اختفى الهدوء من داخلها. فقال لها اورهان بك:

- انت وانا سنتناول العشاء، وجهاً لوجه، يا عزيزتي. بعدها، سأذهب للسهر مع بعض الاصدقاء ولن اصرّ ان ادعوك معي، ذلك لان احدهم سيصل في المساء، وسيخيب امله ان لم يجدك!... اقصد كريم، يا عزيزتي سيسيل! ستصل طائرته بعد ساعة، وسيكون هنا بعد ساعة ونصف. وسيسمح لي الوقت ان اقدمكما الى بعضكما قبل ان أذهب الى السهرة.

لكنهما انتظرا حتى آخر الليل واضطر البك ان يعتذر من اصدقائه. ولما ارسل البك غاي الى فراشها، في منتصف الليل، لم يكن كريم عبد انوك قد وصل بعد.

دخلت الفتاة الى غرفتها وفي داخلها شعور بأن لا احد بامكانه ان يرغمها على الزواج من ايّ كان ضد ارادتها وحتى في الظروف الحالية. والظاهر ان غياب كريم وعودة السائق من المطار وحده بعدما ابلغ البك بأن ابن اخيه سيأخذ سيارة أجرة ليعود، دليل واضح ان كريم لديه مشاريع اخرى ولا يقبل ان يفرض عليه احد ما يريد فعله.

عندما عاد السائق وحده حاملا رسالة ابن اخيه، زمّ البك شفتيه وظلّ صامتاً. فليس لديه تعليق على تصرف الشباب، لكن الصدمة بدت على وجهه.

نامت غاي وطردت من عقلها كريم في الحال. كل افكارها كانت موجهة نحو تشارلز فيلبيه وعينيه الرماديتين ونظراته البعيدة. وبعد زفرة سعيدة فكرت انها ستراه في الغد فنامت بهدوء.

غطت في نوم عميق. وهذا الأمر ليس غريباً بعد نهار الامس غير الاعتيادي. تركتها الخادمة تنام ولما افاقت ونزلت الى الدار كان النهار قد قطع شوطاً كبيراً. لقد نسيت كريم بشكل نهائي ولم تكن تفكر الا بموعدها مع السيدة لنسداون. لذلك فتحت باب غرفة الطعام من دون ان تفكر بأنها ستجد احداً غيرها.

الغرفة كانت مضاءة قليلا. والستائر السميكة تبعث بخفة النور الاخضر من الحديقة. فانعكاس العشب والعرائش الفتية كان يضيء الفضية باللون الاخضر. كان اورهان بك يعيش على طريقة ثري انكليزي في القرن التاسع عشر. الاثاث الضخم يعود الى الطراز الفيكتوري. وفي مكان آخر اختار الاثاث الحديث ليبرهن للآخرين انه يعيش في عصره.

كانت غاي ترتدي تنورة قمحية وقميصاً من الموسلين وتربط شعرها بشريطة صفراء، كأنها تحمل معها شعاعاً من الشمس في هذه الغرفة المظلمة. فالرجل الذي كان واقفاً قرب الطاولة يضع في صحنه بعض المأكولات، رفع نظره نحوها وانار وجهه فجأة، بينما كانت الفتاة تحدّق فيه بدهشة.

قال باستغراب:

ـ ها، ها! التقينا اخيراً، سيسيل الصغيرة وانا!...

ملامح وجهه جميلة لكنها تدل على ضعف في الشخصية. اما فمه فيعبّر عن عبوس متقزز. غير ان عينيه الجوزيتين كانتا تلمعان بشدة تحت رموشه الطويلة. ابتعد عن الطاولة بخفة. وفكّرت غاي في

الحال بحيوان الادغال، اللين والحذر.

راح ينظر اليها بدقة وباعجاب حذر، ثم قال:

ـ اذن، انت من اختارها عمّي زوجة لي! يا لها من فكرة مرحة... لو كنت انوي الزواج!

قالت من دون ان تعرف السبب:

ـ انت تعرف اذن، انني لست سيسيل ميتلاند.

كانت متكئة على الباب، ولأول مرّة منذ أسابيع عديدة، شعرت بامكانية حدوث شيء. غير ان جواب الرجل فاجأها.

ابتسم وقال:

ـ بالفعل، انا على علم بالامر! سيسيل ميتلاند ليست بجمالك الرائع. وحسب رأيي ليست ذكية ايضاً! والواقع انك تكبرينها بسنة او بسنتين.

قالت بتردد من شدة الدهشة:

ـ صحيح؟ اذن، كانت على متن الـ... الـ...؟

لم تتمكن من القول «الطائرة التي تحطمت»، ذلك لأنها لم تكن تفهم كيف نجت وحدها من هذا الحادث الشنيع. وما هو السبب الغامض الذي انقذ حياتها، بينما جميع الركاب وطاقم الطائرة لاقوا حتفهم؟

وافق كريم قائلا:

ـ نعم، كانت على متن الطائرة التي تحطمت. لا تسأليني لماذا لم يكن اسمك على لائحة الركاب، اسمك الحقيقي، ولا لماذا تكونين الناجية الوحيدة. حظك يفلق الصخر. لكن، لماذا لم يذكر اسمك على اللائحة، فهذا لا اعرفه بتاتاً. انه سرّك انت وليس سرّي! كانت سيسيل صغيرة السنّ فلا تستحق أن تموت، لكن يبدو انك مكانها كما

يجب!

- لا اتذكّر شيئاً! لا اعرف شيئاً!

رفع كتفيه قليلا وهو يحدق فيها بنظرات ساخرة.

- فقط، انت لست سيسيل ميتلاند. هذا تعرفينه.

هزت رأسها وقالت:

- والباقي ضاع.

- يا للأسف... هل تسكبين لي القهوة؟ هذه الاطباق تنفرني بعد حفلة الامس! انها حفلة نظّمها احد اصدقائي بمناسبة عودتي. عمّي لا يعرف بذلك طبعاً. كان يأمل ان آتي الى هنا لتوي حتى اتعرف عليك... لو كنت اعرف انك لا تشبهين سيسيل لجئت مسرعاً.

راحت يدا غاي ترتجفان وهي تصب القهوة. سكبت لنفسها فنجاناً لكنها لم تتمكن من احتسائه. انه الوحيد الذي بامكانه ازاحة الضباب الذي كان يحيط بها منذ ستة اشهر. وبالرغم من نفورها منه وعدم جاذبيتها اليه، رغم جماله الرائع، تجد غاي نفسها مضطرة ان تستدعيه:

- سيد انوك...

صرخ وهو يقدم اليها سيكارة رفضتها:

- ما بالك... من الأفضل ان تناديني بأسمي الصغير، كريم!

- غاي نيكولسون.

- تبدين جادة تماماً، لكن في الظاهر هناك العديد من الاشخاص لا يوافقونك الرأي. في كلّ حال ليس هذا هو الأمر. ارى ان غاي اسم لطيف. بدأت اندم على وقتي في هذه السهرة!

- ارجوك!... كريم!

فجأة اصبحت عينا الرجل ناعمتين مداعبتين فانحنى فوقها وقال:

- تكلمي، يا ابنتي الصغيرة! سأفعل ما تطلبينه مني... في حدود المعقول، طبعاً! لكني لن اقول لعمي انك لست سيسيل ميتلاند، ليس الآن في كل حال. ولن اخبره ان سيسيل تزوجت من احد اصدقائي مباشرة قبل مغادرتها انكلترا! في الواقع، جاءت الى هنا بنية ان تعلن لعمي نبأ زواجها، ولتشرح له ان المشاريع التي رسمها لي ولها اصبحت باطلة!

فتحت غاي عينيها، فخطرت ببالها فكرة رهيبة:

- هل تريد ان تقول ان... ان سيسيل ميتلاند لم تعد سيسيل ميتلاند؟ انها...

- انه صار لها اسم جديد، بامكانه ان يتطابق مع اسمك الحالي، الآن، نعم!...

لمع بريق في عينيها، فتابع يقول:

- ... الوضع بدأ يتعقد شيئاً فشيئاً، اليس كذلك؟ أو انه في طور التعقيد! رسمياً، انت سيسيل ميتلاند. واذا قرر زوج سيسيل ان يأتي الى هنا فجأة ويقسم انك انت من تزوج...! هل تفهمين ما اقصد قوله؟

- كلا.

فجأة وجدت ان الوضع صعب. الامور ذهبت بعيداً جداً وها هي تشعر بهدوء غريب. هناك انسان حيّ يرزق يعرف انها ليست سيسيل ميتلاند، وهذا ما يهمها في الامر! وما يجب ان تفعله، هو ان تدفع كريم الى الاعتراف بالامر وبالتالي تصبح حرة! حرّة ان تغادر هذا القصر الذهبي!

قالت بصوت يشوبه بعض التوتر:

- اظنك تعرف انك تقول اشياء غامضة. عاجلا ام آجلا، سيعرف

الجميع هويتي الحقيقية، حتى من دون مساعدتك. لكن بفضلك، من الممكن ان نفشي كل شيء في الحال. لا ارى لماذا تريد خداع عمك، من دون سبب، في هذه العملية المهمة.

- مهمة بالنسبة اليك، يا عزيزتي، انت التي يهمك اكثر ما يكون ان تبرهني عن هويتك الحقيقية! اما بالنسبة اليّ، فيجب ان اراعي كل جوانب هذا الوضع وبدقة... وفي النهاية، يمكنني ان أحصل من هذه العملية على ربح ما... ولأصرّح لك ان عمي لا يعيرني اهتماماً كثيراً، في الوقت الحاضر. يتهيأ له انني سارسب في امتحاناتي وفي الواقع هذا ما سيحصل. ان تفشيل احد مشاريعه العزيزة على قلبه في هذا الوقت الحرج، يكون من عدم الايمان والوعي! يجب ان تعطيني وقتاً لأفكر بالامر.

نهضت غاي وقالت:

- هذه حماقة! يجب ان تأتي معي في الحال لنرى عمك. في مثل هذا الوقت يكون عادة في مكتبه. سنكلّمه معاً.

لكنه هزّ رأسه وقال:

- أرفض استعجال الأمور. قلت لك انا بحاجة الى بعض الوقت.
- في هذه الحال، سأراه وحدي.
- وماذا ستقولين له؟
- انني... انني!

بدأت حنجرتها البيضاء النحيلة بالارتجاف. الوضع ما زال غامضاً برغم بعض الوضوح. الفتاة تجهل اموراً كثيرة فيما يتعلّق بها، واذا طرحت عليها الاسئلة الدقيقة، فلن تتمكن من الاجابة بطريقة مرضية. لذا كان من الضروري ان يقدّم لها كريم مساعدته.

- ... عمك رجل عاقل، وسيصغي اليّ!

- الم يصغ اليك حتى الآن؟ لا، يا عزيزتي الشقراء! يجب ان تكوني طويلة البال وتنتظري حتى اكون قد فكرت في الأمر. ربما قررت ان اتحمّل المسؤوليات مع زوجة وعائلة مثلاً...

كانت غاي جامدة مكانها تنظر اليه مواجهة في عينيه. ثم قالت:

- انت نسيت ان سيسيل ميتلاند لو كانت ما تزال حية الآن، فهي امرأة متزوجة لأحد اصدقائك!
- صحيح لكنني لم ابح لك بأسم زوجها!

لم تكن الفتاة قادرة ان تزيح نظرها عن عينيه البراقتين. شعرت وكأنها حشرة خدرتها حية برشاء. وبتوتر وانزعاج ازاحت عنه نظرها وقالت:

- لا، ولن أطلب منك ذلك. هذا لا يتعلّق بي كلياً....

حاولت ان تستجمع قواها لتذهب الى غرفتها وتحضر نفسها قبل الذهاب الى الغداء مع فاليري لنسداون. آه، فاليري لنسداون! هذا الاسم يغمرها بارتياح لا يوصف.

قالت بصوت مضطرب:

- ... انا على موعد للغداء. سأتركك...
- هل انت على موعد مع احد اعرفه؟ اصدقاء عمي هم ايضاً اصدقائي عندما اكون في اسطنبول.

سمعت نفسها تقول بشكل آلي:

- انا على موعد مع غاليري لنسداون، و...

قاطعها بصوت ساخر:

- ورجل آخر طبعاً. نادراً ما تتناول امرأتان الغداء معاً من أجل المتعة، وفاليري ليست من نوع النساء اللواتي يتحملن ذلك!...

اطلق ضحكة شريرة وهو يقرأ الدهشة في عيني الفتاة. وأضاف

يقول:

-... العالم بأجمعه سمع بمغامرات السيدة لنسداون وانها تؤلف كتباً مسلية. آه، لقد سمعت المدعو الثالث يزمّر من الخارج! سيارته متوقفة أمام مدخل الخدم. هذا الامر لن يعجب عمي. عليك ان تطلبي من فارس احلامك ان يأخذك من المدخل الرئيسي!.

اسرعت غاي بالنزول وكانت متقطعة الانفاس عندما جلست اخيراً قرب تشارلز فيلبيه. كان وجهها شديد الشحوب.

سألها وهو يقلع بسيارته:

- هل كل شيء على ما يرام؟

هزت رأسها قائلة:

- نعم، شكراً. نهضت متأخرة صباح اليوم واضطررت للاستعجال.

كانت قد وضعت سترة تتناسق مع تنورتها واصبح شكلها بأجمله كالقصب المذهّب. كتفت يديها فوق ركبتيها بعصبية تدلّ على اضطراب شديد.

اكتفى تشارلز بالرد قائلا:

- انها عادة سيئة ان تنامي حتى ساعة متأخرة من الصباح.

- من عادتي ان افيق باكراً. ونادراً ما يحدث لي ان انهض من النوم متأخرة!

ابتسم تشارلز قائلا:

- ربما لا يتاح لك المجال لذلك!... كما رأيت انه من المستحسن ان آخذك من باب الخدم. من الافضل الّا يعرف اليك عن هذا الغداء قبل ان تتعرفي الى فاليري.

تجهّم وجه غاي فجأة وقالت:

- الا ترى ان السيدة لنسدوان ستكون... غاضبة ان نقتحم منزلها

بهذه الطريقة؟...

هل تعتقد انها ستصدق كلامي؟

اجابها على السؤال الثاني قائلا:

- فاليري امرأة حادة الذهن ونافذة الصبر، وهي تعرف اصداء حكمها على الناس.

ومن الواضح انك لن تحاولي خداع احد.

- اذا كنت اخدع احداً، ربما اخدع نفسي، اليس كذلك؟

- هذا احتمال وارد، اليس كذلك؟

اجابت بحزم غير منتظر:

- كلا. هذا غير وارد. ولن يرد ابداً!

نظر اليها متسائلا، فشرحت له وهي تضغط بعصبية على مسكة حقيبة يدها:

- كريم بعرف انني لست سيسيل ميتلاند!

اندهش تشارلز وكاد ان يطلق صفيراً، لكنه قال:

- في هذه الحال، هويتك بدت واضحة!

- كلا... ليس الامر بهذه السهولة...

كانت الفتاة شديدة التوتر وكان صديقها يودّ ان يتلوّن وجهها بعض الشيء، لانها شاحبة الى درجة مذهلة! فقالت:

-... هل بامكاني ان اتحدث اليك... بعد ان انهي حديثي مع السيدة لنسداون؟

- طبعاً. لكن اذا اردت ان تساعدك فاليري، فيجب ان تكشفي لها اوراقك كلها.

وافقت غاي بصمت. الظاهر ان الجميع ينادي الكاتبة المستكشفة بأسمها الاول فاليري من دون ايّ ازعاج. هذا ما يحصل

احياناً بعد معرفة طويلة غير ان كريم يصغر تشارلز بعدد من السنوات، فلم يمض كريم الا سنوات معدودة في انكلترا.

وجدا الكاتبة في صالون شقتها الواسع والمريح، المزيّن بلياقة وذوق بالاثاث الحديث. وكانت المرأة تبدو متناسقة مع هذا الديكور المليء بلوحات كبيرة وأرائك حديثة ومزهريات غريبة، لا يمكن ابداً تصوّرها في بيئة قديمة أو كلاسيكية. كانت ترتدي ملابس غريبة. فتصوّرت غاي في ملابس ركوب الخيل وبأحذية جلدية عالية.

كانت فاليري تدخن سيكارة. ولم تكن تقصد لفت الانظار بتنورتها السوداء الطويلة والضيقة وبقميصها الاحمر الحريري. ملابسها كانت انعكاساً حقيقياً لشخصيتها القوية الواضحة.

قالت الكاتبة:

- اذن، هذه غاي!

وقفت امام الفتاة وراحت تميّزها بعينيها السوداوين القاتمتين.

- لن ادعوك سيسيل، مادام ليس اسمك الحقيقي. وكذلك لن اناديك بالآنسة نيكولسون. اجلسي وقولي لمصطفى ما تريدين ان تشربي.

جلست غاي مطيعة، فتقدم منها تشارلز بغية مساعدتها. وقال مبتسماً:

- احضر للآنسة عصير الفاكهة، يا مصطفى.

تدخلت فاليري قائلة:

- الظاهر انك تعرف جيداً ذوق الآنسة، يا تشارلز!

وبانتظار موعد الغداء، راح الحديث يدور حول مواضيع مختلفة لا تتعلق بمشاكل غاي الشخصية. فشعرت الفتاة بارتياح، لكنها ظلت مضطربة بعض الشيء، اكثر بكثير مما كانت عليه بالامس

عندما تناولت الغداء مع تشارلز وجهاً لوجه. كانت تشعر باندهاش امام السيدة لنسداون التي كانت عميقة وجازمة. . . وبالرغم من عينيها السوداوين لم تتمكن الفتاة من رؤية اي أثر للدفء والحنان في وجهها. وهذا اخفض من معنوياتها بشكل عميق.

غرفة الطعام كانت زرقاء ورمادية. وكما في الصالون، لم يكن هناك اي تذكار او كأس او ميدالية، كعادة ما يجلبه المستكشف من مغامراته ورحلاته. اصيبت بخيبة أمل لأنها كانت تنتظر ان ترى جلدة نمر أو فيل معلّقة بشكل بساط على الجدار أو تغلّف احدى زوايا الغرفة. في الواقع كانت تشعر بأن المكان يعبّر عن انوثة رائعة.

كان مصطفى يقدّم الطعام للمدعوين. والوجبة كانت تركية صرفة. وفي آخر الغداء احضر العنب والبطيخ الاحمر المقطّع والقهوة التقليدية التي تناولها الجميع في الصالون حول صينية كبيرة من النحاس الاصفر. ومن النافذة رأت الفتاة الساحة الكبرى لقصر بيزنطي قديم. وشجرة جوز ضخمة تقدم ظلاً رائعاً لهذا المكان الهادىء. راحت غاي تتخيّل السيدة لنسداون جالسة في المساء على الشرفة الحجرية، تتذكر مغامراتها، وعلى شفتيها سيكارة تركية، تشرد نظرها بهذا المكان الهادىء حيث كانت نساء الحريم تأتي في الماضي محمّلات على اسرّة مغلفة بالقماش المزخرف السميك. كم يختلف هذا المبنى الآن عما كان عليه في الماضي، خاصة ان السيدة لنسداون تسكن شقة فيه رمزاً للحرية التي تتمتع بها النساء العصريات!

كان صوتها واضحاً ومعتدلاً، تتناقش مع تشارلز حول كتابها المقبل، تأمل في ان تبدأ بانجازه بسرعة، الا، اذا منعها من ذلك انهماكها في بعض المشاريع التي بدأت بتنفيذ البعض منها.

وبينما كانت تتحدث عن مشاريعها كانت ترمق صديقها بنظرات ملحّة. كما لاحظت غاي ان تشارلز كان يردّ عليها بحزم كأن السيدة لنسداون تحاول عن قصد ان تدخله في بعض الاقتراحات السرية.

لكن تشارلز فيليبه، الجالس باسترخاء وتعال في مقعده المريح، كان يبدو رجولياً في هذا الديكور الانوثي. لم يكن يتمتع بوسامة كريم الواضحة، لكنه كان جذاباً بصورة خطرة...

شعرت غاي بحزن يعلو قلبها. عليها ان تكون حذرة للغاية!... وفجأة شعرت بنظرة تحدّق فيها. فبيدها النحيلة واظافرها البنفسجية، اطفأت فاليري لنسداون سيكارتها وانحنت فوق الفتاة وقالت:

ـ فكّرت ان بامكاننا التحدث قليلا على حدة، انت وانا، يا عزيزتي. تشارلز يعرف القصة كلها، وليس بحاجة ان يسمعها، مرّة ثانية. تعالي معي الى غرفتي من فضلك؟

بدت عيناها تبتسمان، فالتفتت نحو تشارلز وابتسمت له أيضاً لكن بطريقة مختلفة.

ـ خذ مزيداً من القهوة، يا صديقي، او ايّ شيء آخر. لن نطيل الحديث. من الأفضل ان اتعرّف الى غاي من دون ان نواجه تأثيرات خارجية!

٣ـ ليلة ليتها لم تكن!

ولما وصلتا الى الغرفة، غابت ابتسامة عن شفتي الكاتبة التي اتكأت على الباب وراحت تحدّق بعيني الفتاة. ثم قالت بصوت آمر:

ـ والآن، قولي كل ما تعرفين عن الحادث. وماذا جرى عندما عدت الى صوابك، وكل ما تتذكرينه لما حصل لك بعد ذلك!...

جلست غاي على المقعد واصفرّ وجهها الشاحب كالموت. تابعت المستكشفة قائلة.

ـ لا اريد ان اضايقك ولا ان اؤلمك. لكن حان الوقت ان يهتّم احد بالقضية وان يكرّس لها وقته فعلا! من اجل صالحك!... ماذا؟ هل تجدين صعوبة في الرد على الاسئلة المباشرة؟

هزت الفتاة رأسها ببطء وتوصلت الى القول:

- كلا. سأقول لك كل ما اتذكره.

راحت السيدة لنسداون تذرع ارض الغرفة مثل نمر وتقول:

- حسنا. فكّري من البداية... من بداية رحلتك. هل تتذكرين سهرتك الاخيرة في لندن، عندما تناولت العشاء مع رجل اشقر، جذاب؟...

توقفت لحظة عن المشي وحدقت بغاي في نظرة قاسية، مثل عالم ينتظر ان تظهر نتائج اختباراته. ثم تابعت سؤالها قائلة:

- هل تتذكرين هذا الرجل؟

شعرت الفتاة بألم حاد يحتل رأسها... كأن مدقة تضرب جمجمتها. تمسكت بشدة في مقعدها وقالت:

- انا... نعم... انا اتذكر...

- اخذك الى مطعم صغير سوّي لا يبعد كثيرا عن مركز عملك... وكنت تعملين في شارع بوند ستريت، أليس كذلك؟ ووكّلك بشيء ما... بحقيبة! هل فقدت كل ما كنت تحملينه معك؟

ولما عادتا الى الصالون، كانت غاي شاحبة اللون ومتعبة. عيناها حزينتان وحركاتها مترددة. تقدم تشارلز منها بسرعة ودعاها الى الجلوس، ثم التفت الى فاليري عابس الوجه. فأجابت الكاتبة على نظراته قائلة:

- انها على احسن ما يرام. عبور الماضي عملية مؤلمة، لكنني كنت اريد مساعدة صديقتك الصغيرة، واعتقد انني توصلت الى تحقيق ذلك! قدم لها سيكارة من هذه العلبة. سأرن الجرس حتى يصار الى تحضير القهوة القوية!

احضر مصطفى الصينية وسكب تشارلز القهوة في فنجان وقدمه الى غاي التي ابتسمت محاولة طمأنته وتهدئة روعه. لكن الكلمات لم

تصدر خارج شفتيها.

احتجت فاليري ببرودة قائلة:

- لا تنظر الى القضية بعين مأساوية، يا تشارلز. في الواقع، هذه القضية لا تتعلق بك. عادة، عندما تكون النساء في ازمة صعبة، فلا يطلبن النجدة من الرجال العازبين، حتى ولو كانوا ابناء بلدها! وهذا ما شرحته لغاي. انت رجل كريم وبطبيعة الامر، حاولت مساعدتها... لكن، من الآن فصاعدا، هذه القضية تخصني!...

فجأة راحت تقهقه وتربت على ذراعه بلطف وتقول:

- ... يا صديقي المسكين، الامر ليس مضحكا! لست فارسا على استعداد لنجدة الآنسات المظلومات! طبعا، غاي لم تكن قادرة على معرفة هذا الامر.. هذه البريئة اعترفت بانها اختارتك، لانك مثلها انكليزي!

اجابها بجفاف:

- لا ارى اي غرابة في الامر.

استمّرت فاليري بمداعبة ذراعه، وابتسامة عريضة تتطاير من شفتيها.

- لا تفكر بالامر بعد الآن، يا عزيزي... عندي خطة رائعة تشملنا نحن الثلاثة. ولا يجب خاصة ان نسيء الى اورهان بك. انه رجل محترم! واذا قررت ان انظم اجتماعا في منزلي في جبال طوروس وان ادعو غاي اليه، فأنا اكيدة ان البك لن يعارض ذلك! كما علينا، انت وانا، ان نناقش مشاريعنا، وهناك، فبامكاننا ان نجد المجال الواسع للتحدث معا. واذا ارادت غاي ان تفعل شيئا مجديا، فبامكانها ان تساعدني وتقوم ببعض اعمال السكريتيريا من اجلي...

اجاب تشارلز بعد دقيقة تردد:

- لا تتكلي على حضوري، فانا ذاهب الى باريس في الاسبوع المقبل.

سألته السيدة لنسداون بابتسامة غريبة:

- هل تقوم برحلة عمل؟

- نوعا ما.

بريق خطر عبر العينين السوداوين المخمليتين. وقالت الكاتبة:

- في هذه الحال، عليها انتظارك، يا عزيزي!...

ثم التفتت بغاي واضافت:

- تشارلز نفسه ليس بارد العاطفة امام سحر الفرنسيات، وخاصة الباريسيات! مرّة رأيته مسحورا بوجه شابه غجرية الى درجة انه رسمها على لوحة! ماذا حلّ بهذه اللوحة، يا تشارلز؟ هل ستعلقها في غرفة الطعام عندما تستقر يوما ما؟

اكتفى تشارلز بالتحديق فيها بقسوة. اما غاي فبدت، بالرغم من غموضها، كأنها ادركت امراً مهماً: ان فاليري لنسداون تحذر الرجل، كما حذرتها في الغرفة.

وتساءلت الفتاة كيف خطر على بالها ان تقتنع بان الكاتبة ستكون عونا لها!

عادت فاليري لتقول بصوت جاف:

- لا تكن احمق، يا تشارلز. ستكون معنا، طبعا... لن اسمح لك بالذهاب الى باريس في هذه الفترة! لقد اتصلت بي لاساعدك! والآن، يحق لي ان اطلب منك شيئا بديلا! غدا اذهب بنفسي لرؤية اورهان بك. وبعد ايام قليلة، سنأخذ معنا غاي. من الافضل الا نسرع الامور. دعني اهتم بكل شيء!

اجابها تشارلز:

- حسنا. هل تشعرين بتحسن الآن، يا صغيرتي؟ ومن الافضل ان

ننسحب الآن. لا اريد استعجالك، لكنني على موعد في المساء وقبل هذا عليّ ان اعيدك الى حارسك المؤقت.

شعرت الفتاة بالشجاعة وابتسمت له امتنانا.

وبينما كانا يستعدان للذهاب، تقدمت السيدة لنسداون منها ولمست خدّ الفتاة بطرف اصبعها وقالت:

- لا تقلقي، يا عزيزتي. الامر سينتهي خيرا.

ظلت واقفة امام الباب حتى اختفيا عن الانظار. ثم دخلت الى الصالون واشعلت سيكارة. كان وجهها خاليا من اي تعبير.

وبينما كانت السيارة تسير في الشوارع الصغيرة الضيقة والمزدحمة لمحت غاي الشمس توشك على المغيب. المنارات تبرز بوضوح في السماء الوردية. وفي الشوارع، الظلال اتشحت بالارجوان. انها ساعة هادئة. النجوم بدأت بالظهور، باردة وبعيدة. وحتى في حي الاعمال المزدحم بالموظفين الذين يغادرون مراكز اعمالهم، لم تتمكن الفتاة من ان تبعد عنها شعور الوحدة والاغتراب.

ولما فكرت بمنزل اورهان بك، وبكريم، شعرت برغبة ان تسأل رفيقها الا يعيدها الى المنزل في الحال. لكن فجأة، راح يحدثها:

- ماذا كنت تريدين قوله هذا الصباح؟

صحيح انها طلبت محادثته بعد لقائها بالكاتبة. لكنها تذكرت بعض الكلمات المتداولة في غرفة السيدة لنسداون، فهمست بصوت متردد:

- ليس لما سأقوله اهمية. لا اريد ان آخذ من وقتك الكثير. انت لطيف وخدوم ولقد كرست وقتا طويلا اليوم من اجلي. لا اريد ان...

اجابها بهدوء:

- انت لا تأخذين من وقتي ابدا. كنت متوترة في الصباح، اليس كذلك قولي ما حدث ارجوك.

- نعم.

- هل تجدين ان الامر غير مناسب اذا اقترحت عليك المجيء معي الى الفندق؟

- لكن . . . وموعدك؟

- امامي متسع من الوقت لذلك.

رمقها بنظرة سريعة وابتسم لها بلطف الى درجة ان الفتاة شعرت قلبها سيتحطم. اطلقت زفرة عميقة وقالت بصوت ضعيف ومليء بالامتنان:

- آه، يا سيد فيليبه! لا اعرف ماذا افعل من دونك!

شعرت بيد رفيقها السمراء فوق يديها:

- صحيح؟ انا ممنون جدا، هذا اطراء لا يوصف! آمل ان استمر في مساعدتك، على الاقل لبعض الوقت! . . . واعتقد انه من الافضل ان تناديني تشارلز لا السيد تشارلز.

- كما تريد.

لم تعد الفتاة تعرف ما تقول. كل ما يهمّ في الامر هو يده التي وضعها على يديها. آه لو بمكانها ان تبقى هكذا، لكان الامر على احسن ما يكون!

- هل تخافين على سمعتك اذا تحدثت معي لمدة نصف ساعة!

- شرط ان تقبل تكريس هذا الوقت لي!

لكن ماذا بعد ان تنتهي النصف ساعة؟ . . . وماذا لو لم تنجح فاليري لنسداون في التأثير عليه ومنعه من الذهاب الى باريس؟ الن تراه بعد الآن؟

الظاهر ان سمعة غاي لن تشوبها شائبة. فلم يلتقيا باحد وهما يصعدان الى غرفة تشارلز. شرح لها عالم الاثريات ان الفندق هادىء في هذا الوقت من النهار.

قاعة الاستقبال المتاخمة لغرفة الرجل كانت فاخرة. واليها ادخل تشارلز الفتاة، ثم رنّ للخادم الذي جاء في الحال، ولم يفاجأ بوجود الفتاة برفقة عالم الاثريات. لو لم تكن ساذجة لفهمت ان ذلك يعني، ان تشارلز فيليبه غالبا ما يستقبل النساء في جناحه. لكن هذه الفكرة لم تخطر على بالها. بالنسبة اليها تشارلز لا يهتم بالنساء.

طلب منها، وهو يشير الى مقعد مريح:

- اجلسي هنا.

لكنه ظل واقفا ولم يتمكن من ان يزيح نظره عن شعر الفتاة الذهبي المتلألىء تحت الاضواء المشتعلة.

اكمل يقول:

- . . . والآن، قولي لماذا كنت شديدة الاضطراب عندما جئت لاخذك صباح ليوم؟ ولماذا كريم، الذي يبدو حتى الآن الانسان الوحيد القادر ان يبرهن عن هويتك، يرعبك الى هذه الدرجة؟

اخبرته ماذاجرى معها عند الفطور. ولما صمتت، رأته يقطب حاجبيه، ثم يذرع الغرفة بخطواته السريعة، محني الظهر، كأن ما قالته مزعج للغاية. ثم انتفض وسألها:

- وعندما تحدثت مع فاليري، هل اخبرتها عن كل هذه التفاصيل؟

- نعم، بحذافيرها، لكنها تعتقد ان كريم لا اهمية له في الموضوع وتعتبره رجلا فاسقا، صرف اموال عمه ومن الافضل له ان يتزوج من فتاة غنية. الظاهر ان سيسيل ميتلاند كانت سترث مبلغا ضخما من المال في الخامسة والعشرين من عمرها.

ومن جديد قطب تشارلز حاجبيه وقال:
- لكن برأيك، مبق لكريم ان تزوج من سيسيل . . . او كان قد اصبح زوجها عندما وقع الحادث، اليس كذلك؟ ما رأي فاليري بالامر؟

رفعت غاي كتفيها وقالت:
- فاليري تعتبر ذلك خدعة، لا صحة فيها.
- اما اذا كان ذلك صحيحا، فبامكاننا التأكد بالطبع! في الواقع بامكاننا ان نبرهن امورا عديدة في الوقت الحاضر. . . لكن. . .
سألته بقلق:
- نعم؟

- لم يعجبني هذا الرجل، حسب وصفك له، وعكس ما تقول فاليري، لا يمكننا ان نتجاهله، الا بعد ان نجعله يقول الحقيقة. في الوقت الحاضر، يبدو لي ان الوضع اشد خطورة مما كان عليه بالامس. صحيح انك تعيشين مع كريم والبك تحت سقف واحد، وصحيح ان البك حارسك، لكن الى اي درجة يقوم البك بدور فعّال؟. . .

سألته الفتاة بصوت مرتجف:
- ماذا. . . ماذا تعني؟
احتلها الغضب والتوتر من جديد. التفت تشارلز اليها وراح يلاحظ ملامحها وردة فعلها. فكانت نظراته ملحّة الى درجة ان الاحمرار اعتلى وجه الفتاة كله. ارادت ان تغمض عينيها بغية الاختباء، لكنها رددت تقول:
- ماذا تعني؟
- اريد ان اقول بان كريم يجتاز وضعا ميؤوسا منه في الوقت الحاضر.

بريد ارضاء عمه والحصول على المال. ولتحقيق ذلك، امامه امر واحد، وهو ان يتزوج!
صرخت تقول:
- لكنني لست سيسيل ميتلاند! ماتت سيسيل في الطائرة!
- هل بامكانك ان تبرهني ذلك؟
رفعت الفتاة يدها الى حنجرتها وقالت:
- لا، لكن. . . لقد قلت الآن انه من السهل ان نبرهن ذلك!. . .
- اذا تمكنا من اقناع كريم بالاعتراف بالامر!. . . وامام شهود غيرك! طبعا، بامكاننا ان نتحقق من حصول هذا الزواج. لكن اذا تزوجت سيسيل ميتلاند من كريم آنوك، ام من احد اصدقائه، هذا لا يؤكد لنا ان اسمك غاي نيكولسون! وما دمنا لم نتوصل الى ذلك، فلا احب ان افكر ان كريم. . .
سألته بهدوء:
- نعم؟
اشعل سيكارة وقدمها للفتاة. فشعرت بانفعال غريب عندما اصبح فيلتر السيكارة، الذي لمس شفتي تشارلز، بين شفتيها. اخذت بعصبية بضعة انفاس بينما كان يشعل لنفسه سيكارة اخرى.
ثم قال وهو ينحني نحوها:
- اسمعيني جيدا، يا صغيرتي! فاليري لنسداون امرأة ثاقبة الذهن. لكن، ربما لانها امرأة مثلك، فلا ترى خطورة الوضع.
امسك بيدها واضاف:
- لا اريد ان ارعبك، لكنك فتاة سريعة العطب، خاصة في الوضع الموجود، دون كريم، لا يمكنك ان تبرهني عن شيء. ومن وجهة نظره هو، يرى ان هناك عدة اوجه للوضع بامكانه ان يجدي منها

نفعا. لو قبل منك هذا الصباح ان يأتي معك لرؤية عمه وقول الحقيقة كلها، لخسر مصالح عديدة.

- لا افهم بعد ماذا تعني.

وفجأة، فهمت! اصفر وجهها ورفعت عينيها نحو الرجل وقالت:

- اذا تزوج من سيسيل فعلا ويريد مالها، بامكانه ان يؤكد بانني زوجته!

شعرت باصابع تشارلز تضغط على اصابعها، فردّت بالمثل وبقوة وسمعته يقول:

- كأن ما يحصل رواية سيئة... لكن يستطيع ان يفعل ذلك! عاجلا ام آجلا، ستظهر الحقيقة، طبعا! وانا لا اخاف هذا الامر بتاتا.

اذن ممّ تخاف؟

- في الوقت الحاضر، انت مصرّة بيأس ان تبرهني بانك غاي نيكولسون، لكن ربما كريم لديه مشاريع اخرى! انت فتاة جميلة وجذابة، ومؤهلة للحصول على ارث محترم، ولذلك بامكان كريم ان يسخر منك حتى الاغواء. خاصة انك تعيشين في منزل البك! وهذا الاخير سيضطر للدفاع عن ابن اخيه، ويقف معه ضدك اذا تمنعت عن الرضوخ لاغراءات هذا الشاب الوسيم.

فجأة، ترك يدها وراح يذرع ارض الغرفة، طولا وعرضا. ثم اقترب من غاي وفي وجهه تعبير واضح وقال:

- بامكاني ان اعيدك الى فاليري هذا المساء، لكنني اخشى الا توافق معي. انت متعبة اليوم ولا اريد الزيادة في تعبك... لذلك اقترح عليك ان تبقي هنا الليلة. اما بالنسبة اليّ، فسأذهب عند اصدقائي وامضي الليلة هناك. وفي صباح الغد، ازور البك. او ربما تهتم

فاليري بهذا الامر.

- لكن... لكن لا يمكنني ان اطردك هكذا من غرفتك!

- نعم، بامكانك تماما!...

ابتسامته مرحة وشخصيته لطيفة.

- ... لا اريد ان اكون عاطفيا، لكن لن يغمض لي جفن اذا علمت انك مع كريم في البيت نفسه! كل ما سمعته عن هذا الرجل ...

- لكن... البك!... حاجياتي... ليس معي حتى فرشاة اسنان!

- ساجد لك واحدة. وبامكاني ان اعيرك بيجامتي، اذا اردت ذلك.

نهضت الفتاة، كل ما يحصل لها لا يصدق. وفي الوقت نفسه تخشى مضايقة تشارلز فيلبيه.

- والسيدة لنسداون؟ يبدو انها وجدت الوضع قلقا! وستذهب لرؤية البك، غدا صباحا..

- سأتصل بأروهان في المساء واعلمه بانك تقضين الليلة عند فاليري وما عليها الا ان تؤكد له ذلك في الغد.

- لكن، ربما رفضت!

- في هذه الحال، نستغني عن مساعدتها. ارجوك لا تخافي. وانا اكيد انها لن ترفض لي شيئا.

اختفى داخل الغرفة القريبة ثم عاد بعد لحظات وقال:

- وضعت بيجاما ومئزرا على السرير. كما هناك فرشاة اسنان جديدة على الطاولة الصغيرة الموضوعة في الحمام... ستجدين ان البيجاما واسعة عليك...

لكن نظراته عادت جادة وهو يتأمل هذه الفتاة النحيلة التي تبدو سريعة العطب، ورقيقة جدا!

- غاي، يا صغيرتي، اعدك بان الامور ستتحسن يوما ما!
- لا اعرف لماذا انت لطيف معي الى درجة انك تفعل كل ما بوسعك لخدمتي.

ابتعد تشارلز وأزاح المزهرية بضعة سنتمرات، ثم عاد نحوها. بدا مهموما، لكن لامور اخرى... كأنه يطرح على نفسه سؤالا ويخاف الاجابة عليه. اخيرا قال:
- في الواقع، انا لا افعل شيئا كبيرا.

مدت له يدها فتناولها. وفكرت الفتاة بحذر انه سيذهب الآن وستبقى وحدها في غرفة الفندق.
- تصبحين على خير، يا صغيرتي. استرخي جيدا. لن يزعجك احد.

قام بخطوة، تردد ثم التفت نحوها. شعرت بذراعيه القويتين تضمانها بشدة... هذا العناق ابعد عنها كل الشكوك الاخيرة. لن تجد رجلا آخر يوقظ فيها هذه الرغبة اذ وجدت نفسها قادرة على الذوبان بدون مقاومة، مستعدة لقبول كل طلباته، وجميع مقتضياته... لكن، بعد لحظة قصيرة ابتعد تشارلز فجأة وكان شاحب اللون ومهزوما.

فقال لها بصوت متوتر:
- سامحيني، ارجوك! لا اعرف ماذا جرى لي! من المفروض ان احميك من كريم!...

وصل الى الباب وفتحه وقال:
- لا تخافي. تناولي فطور الصباح في الغرفة. تصبحين على خير...

اغلق الباب كأنه يريد ان يركز سياجا بينهما.

احست غاي التي بالكاد اغمضت عينيها ان شخصا جلس على

طرف سريرها وأمرها بصوت غاضب ان تنهض في الحال.

انتصبت الفتاة على مرفقيها. في بيجامتها الواسعة وشعرها المشعث حول وجهها، كانت تبدو شابة وجذابة جدا... لكن ليس بنظر فاليري لتسداون! الارملة الوقحة، في بزتها الوردية وبقبعتها الواسعة وقفازاتها المخملية، كانت شاحبة غضبا. اعلنت انها تجد هذا الوضع غير مسموح به، وراحت تصرخ مؤنبة وتقول:
- صحيح ان افكاري واسعة، وخلال حياتي قمت باعمال نادرة، لكنني عندما كنت في عمرك، لم اكن انام في سرير رجل وارتدي بيجامته، في مدينة مثل اسطنبول! في باريس اولندن، معقول، لكن هنا! الجميع يعتبرونك ابنة اورهان بك، ماذا سيقولون؟ ماذاساقول للبك الذي ساراه بعد قليل؟

خرجت غاي من سريرها وارتدت قميص تشارلز، ولدى رؤيتها اللباس الحريري على جسم الفتاة زاد غضبها وعضت على شفتيها وهي ترمق الفتاة بنظرة سوداء وتقول آمرة:
- ارتدي ملابسك! خذي امتعتك الى الحمام، وانا سأرتب الغرفة. انها تعج بالاشياء التي تدل انك امضيت الليل هنا! غير انه ليس ضروريا ان تتركي اثارا لوجودك هنا! وبعدما تنتهين من ارتداء ملابسك، الحقي بي الى قاعة الاستقبال. لقد سبق أن قلت لتشارلز على الهاتف ما رأيي بهذا العمل الوقح. سيصل الى هنا بعد نصف ساعة.

وبينما كانت تتكلم، اخرجت منديلا من حقيبة يدها وراحت تمسح بعض المساحيق عن منضدة الزينة. بقيت غاي لحظة جامدة تتأملها. كلمات فاليري اغضبتها وكادت تنطق بشيء للدفاع عن نفسها. لكن شحوب وجه المرأة والغضب اللامع في عينيها اجبرها

على ملازمة الصمت. شعرت غاي انها اقوى منها وعلى استعداد للسيطرة عليها واجبارها على الطاعة والاستسلام. لو كانت غاي احدى الحيوانات المفترسة التي من عادة فاليري ان تصطادها، لما كانت الكاتبة ترددت لحظة واحدة ان تعاقبها لهذه الوقاحة او الصمود بوجهها!

وبالرغم من استعجالها، لم تكن غاي قد انتهت من ارتداء ملابسها عندما سمعت اصواتا في قاعة الاستقبال. كان صوت تشارلز يعبر عن قسوة لم يسبق ان لاحظتها فيه من قبل. اما فاليري فكانت تتكلم بصوت مرتفع وبلهجة عاتبة. ولما دخلت الفتاة الى القاعة، وجدتهما واقفين وجها لوجه. ورغم اضطرابها لاحظت انهما يشكلان زوجين رائعين. . . يتمتعان بالليونة نفسها والحيوية ذاتها. كانا قاتمين وحازمين. لا احد منهما مستعد لان يطيع اوامر الآخر. وجه تشارلز البرونزي الاملس بدا وكأنه مضاء بشعلة صماء.

ولدى سماعه خطوات غاي، التفت نحوها في الحال وقال:

- صباح الخير، يا غاي! هل نمت جيدا؟

تدخلت السيدة لنسداون وقالت في عبوس وتحد:

- آه! لقد نامت جيدا، من دون اي شك! لكن كان بامكانها ان تنام في سريرها الخاص، او احد اسرتي، ولا تثير شبهات احد! والآن، نحن مضطران ان نصطحبها بعيدا من هنا في اسرع ما يمكن!

سألها تشارلز من جديد كأنه لم يسمع شيئا مما قالته الكاتبة:

- هل نمت جيدا، يا غاي؟

هزت الفتاة رأسها. كانت مضطربة وتهيأ لها انها ستبدأ بالارتجاف.

- شكرا، . . لقد. . . نمت جيدا.

- هل تناولت فطور الصباح؟

هذه المرة، اشارت برأسها سلبا واضافت تقول:

- لكن ذلك غير ضروري، فانا لا اشعر بالجوع و. . .

كان تشارلز قد اخذ سماعة الهاتف الداخلي وراح يقول وهو يرمق فاليري بنظرة باردة:

- . . . واجلب معك قهوة لثلاثة اشخاص، من فضلك.

ثم قال موجها حديثه الى السيدة لنسداون:

- اعتقد انه لم يتسن لك ان تتناولي الفطور، انت ايضا، بسبب مجيئك المبكر.

وامام هذه الكلمات صرخت المرأة بغضب شديد وراحت تقول:

- انا لا افهمك، يا تشارلز! انت رجل من هذا العالم ولست بريئا مثل هذه الحمقاء الصغيرة! . . . فهي لا تعرف شيئا عن الحياة وتجهل ان بعض الامور مستحيل ان يحدث على هذا النحو! ليس قياسا للمبادىء، او لذهنية الناس الضيقة، انما ببساطة، لان هذه الامور لا يمكن ان تحدث هكذا! لا يمكننا ان نعيش في عالم اصطلاحي والتصرف بطريقة لا تتفق مع مبادىء هذا العالم. هل تعتقد ان البك سيوافق على زواج غاي من ابن اخيه بعدما امضت الليلة في غرفتك؟

اجابها تشارلز بصوت هادىء:

- لقد اتصلت به هاتفيا وقلت له انها امضت الليل في شقتك. غاي لن تتزوج من كريم. وما يفكر به البك لا يهم.

- انه ولي امرها الشرعي في الوقت الحاضر.

- ولن يطول هذا الامر!

- انت متفائل جدا! وهذا ليس احساسي، انا مقتنعة لعدة اسباب ان غاي ستكون الزوجة المثالية لكريم!

- هذا امر غير وارد على الاطلاق!

- بعد الذي حصل هذه الليلة، سيضطر البك ان يزوجها بالقوة الى رجل آخر!

اجاب تشارلز قبل ان تعي فاليري خطأها:

- في هذه الحال، سيختارني انا على ما اظن.

حبست الكاتبة انفاسها واختفى الاحمرار عن خديها. ثم اطلقت ضحكة مرغمة واحتجت قائلة:

- تشارلز! لا تمزح في هذه القضية. انا اكيدة ان غاي المسكينة ليست بمزاج الضحك، هذا الصباح، اليس كذلك يا صغيرتي؟

نظرت الى الفتاة بتعبير ناعم ومرتاح الى درجة ان تساءلت الفتاة كيف تستطيع فاليري ان تغيّر ملامح وتعبير وجهها بهذه السرعة وهذه السهولة. في لحظة تشتعل عيناها السوداوان عدائية وكراهية، وبعد دقيقة، لا تظهر الا عن مزاج ساخر، لطيف. كيف بامكان هذا التغيير في المزاج ان يحصل؟

اصرّ تشارلز قائلا:

- انا لا امزح اطلاقا.

وفي هذه اللحظة بالذات سمع طرقا على الباب، فدخل الخادم حاملا صينية محملة بالقهوة والخبز المحمص والحلوى. واكتشفت السيدة لنسداون في الحال انها بحاجة ماسة الى احتساء القهوة واكدت ان غاي ربما ترغب القهوة ايضا. جلست امام الطاولة وراحت تسكب القهوة في الفناجين وتقوم بحركات خفيفة ولبقة، مظهرة اصابعها البيضاء الطويلة واظافرها المطلية بالأحمر. كان مظهرها يعبر عن ارتياح ومزاج جميل، مما يجعل الانسان يتساءل ما اذا حصل المشهد السابق حقا.

لكن تشارلز لم يغيّر تعبير وجهه وهو يتناول الفنجان من يد الكاتبة... كان يبدو حزينا وينظر الى الفنجان كأنه لا يراه. وغاي لم تكن قادرة على كبت ارتعاشة متوترة، فحاولت ان تشرب بضع جرعات من القهوة.

عادت السيدة لنسداون لتقول بصفاء ذهني لا يوصف:

- لن نتوصل الى شيء اذا لم ننظر الى الامور كما يجب. اعترف بانني اعتبرتك انسانا متغافلا وطائشا، يا تشارلز، عندما اعلمتني ان غاي امضت الليل هنا. لكنني متأكدة انك فعلت ذلك لمصلحة صديقتنا الشابة... او على الاقل، في ما تتصوره لمصلحتها. لو طلبت نصيحتي قبل الاقدام على ذلك، لكنت ارغمتك على عدم تحقيق هذا القرار. لكن الامر حصل ولا فائدة من الرجوع الى الوراء.. حسب رأيك كان من الافضل الا تعود غاي الى منزل البك، مساء امس، وربما كنت على حق بذلك. لا اريد ان اناقش هذا الامر مجددا. المهم الآن ان نقرر ما سنفعله.

اجاب تشارلز بصوت واضح:

- مهما فعلنا، فلن تعود غاي الى منزل البك!

- عظيم. في هذه الحال، يجب ان نسرع في انجاز مشاريعنا. شقتي هنا ليست كبيرة كي اتمكن من استقبال غاي. وفي كل حال، من الافضل ان نبعدها من هنا في اقرب وقت ممكن. اقترح ان نذهب في الحال الى جبال طوروس.

نظر تشارلز اليها بتأمل وسألها:

- الا يشكل هذا الامر اي مانع لديك؟

- بلى، العديد من العقبات. لكنني مستعدة ان استغني عن راحتي في الوقت الحاضر. اما بالنسبة اليك، يا تشارلز، فعليك ان تعدل عن

الذهاب الى باريس، او ان تؤجل هذه الرحلة.

وافق قائلا:

- في كل حال، لم تكن هذه الرحلة مهمة جدا. غير ان لدي مشاريع اخرى لا يمكنني تجاهلها، سأذهب لرؤية البك.

- انت؟

- نعم، وسأقول له كل شيء... كل ما اعترف به ابن اخيه! لقد اكد ان غاي ليست سيسيل ميتلاند، وهذا امر اساسي واولي!

اطفأت فاليري سيكارتها في المنفضة وتناولت سيكارة اخرى وقالت:

- من الاعقل ان اراه انا بنفسي. انا مقتنعة بذلك. في كل حال، وفي هذه المرحلة بالذات، لا افادة من محاولة ازعاج كريم الذي بامكانه ان يصبح خطرا اذا لم تتصرف معه بحذر. طريقتي في معالجة الامور دقيقة وبارعة. واؤكد لكما انها مرضية في نهاية المطاف.

قال تشارلز معارضا:

- في نهاية المطاف، هذا غير كاف... غاي تمر الآن في حالة خطرة، وارى انه لا جدوى من اضاعة الوقت في تفاهات مع شخص مثل كريم. سأزور البك متى استطاع مقابلتي.

- حسنا. لكن لا ترتكب حماقات تندم عليها، يا تشارلز! لا تدع محبتك لغاي تطغى عليك، هذه المحبة التي اشاطرك اياها!

التفت نحو غاي ومدّ لها يده. فشعرت الفتاة بتوتر حيال ابتسامته فقال لها بلطف:

- لا تقلقي، يا صغيرتي. انت تمرين بمرحلة صعبة، لكنك ستسيطرين عليها. سيأتي اليوم الذي يعود فيه كل شيء الى طبيعته.

تدخلت فاليري وقالت:

- ولنتجنب اضاعة الوقت، سنعود الى شقتي ونحضر انفسنا للسفر. الافضل ان نسافر هذا المساء. ستقود كل الليل يا تشارلز. نتوقف في الفجر لتناول فطور الصباح، ثم نكمل طريقنا. هكذا نتجنب القيادة في ساعات النهار الحارة.

هزّ تشارلز رأسه واضاف انه سيأخذ سيارته، ثم تابع يقول:

- ستطلبين من مصطفى ان يقود سيارتك، اليس كذلك؟ ام تنوين ابقاءه في اسطنبول؟

- سيبقى هنا حتى مجيء اصدقائي بعد بضعة ايام ثم يقودهم الى جبال طوروس ليلتحق بنا.

غادر تشارلز الفندق بعد فترة قصيرة، والتفتت فاليري الى غاي بابتسامة عريضة وقالت:

- العزيز تشارلز! يحب المسافات الكبيرة والوحدة! فالمرأة التي ستتمكن من تحويل مجرى حياته وتدعه يتزوجها، ستكون امرأة قوية جدا! وفي كل حال، لن تتمكن من الاحتفاظ به! وسيختنق ان سجن بين اربعة جدران! انا لم احاول ان اكبله، لذلك بقينا صديقين حميمين! يعرف انني لن اخطف له حريته ابدا. لذلك يعود الي دائما باخلاص!

وللحظة قصيرة بدت ابتسامتها قاسية... ثم استعادت المرأة هدوءها وقالت:

- سنصبح صديقتين عزيزتين عندما نتعرف اكثر الى بعضنا. بامكاني ايضا ان اجد لك عملا.

- سأفعل ما في وسعي لاشكرك على لطفك هذا.

- عظيم! بامكانك ان تكوني مساعدتي في كتابي الجديد. تشارلز يعمل عليه هو ايضا. لدينا ذكريات معا! ومنزلي هناك مكان رائع

للعمل. . . انه المكان المثالي لاشياء كثيرة، فعلا!

خرجت الامرأتان من الغرفة، ولما اصبحتا في الخارج بهرتها اضواء الصباح الذهبية. شعرت غاي لحظة برغبة في ان ترمي نفسها في المياه الصافية الى الابد. . . كانت رغبة ملحة جعلتها ترتجف وهي تصعد في السيارة، الى جنب فاليري.

لقد فات الأوان. . . للتخلص من الثقل الغريب الذي يهدد مستقبلها، وربما حياتها كلها.

٤ - في العرين

كانت السيارة تسير طوال الليل. وفي الفجر توقفت امام مقهى صغير رائع، في منطقة هادئة، حيث هواء الجبل المنعش. كل شيء تغير من جو اسطنبول الخانق.

خرجت غاي من السيارة وهي ترتعش من التعب. نامت بشكل متقطع ونور الصباح القوي يؤلم عينيها. فالمقعد الخلفي لسيارة تشارلز مريح ويبعث على الاسترخاء والنعاس، فضلاً الى انه لم يحاول احد التكلم معها ليجعلها مستيقظة طوال الرحلة. تدخن فاليري الآن سيكارة وتبدو منتعشة مثل وردة الحقول. رمقت الفتاة بنظرة احتقار اذ رأتها تتعثر على رصيف المقهى غير المتوازي.

قالت المرأة وهي تدل باصبعها الى المنظر:

- لو سافرت كثيراً مثلي، لعرفت انه من الضروري احياناً، ان نبقى مستيقظين واحياناً اخرى نائمين. هذه المنطقة هي اجمل بكثير من المدن الغربية. . . اجمل حتى من باريس!

ثم نظرت الى تشارلز الذي رد عليها بنظرات حادة. فقد رفض باصرار ان تقود فاليري مكانه. ابتسم لها ببرود مجيباً على التحدي الموجود في كلامها، ثم مد يده ليمنع غاي من السقوط. نظرت الفتاة حولها بدهشة، مسحورة بتغيرات المنظر العديدة.

نعم، فاليري على حق، كان يجب عليها ان تفعل جهدها لتظل مستيقظة طوال الليل. القمم العالية مكسوة بالثلج وتزنر الوديان العميقة والشاسعة. سفوح الجبال مزدهرة باشجار البرز الخضراء المخملية. ومن بعيد اضاء نور الشمس شلالاً ينحدر على الصخور.

الطريق المؤدي الى المقهى احمر اللون، وفي السماء، الوان الغروب تشبه نوعاً من الطيور، ذات السيقان الطويلة والعنق الطويل، والتي ترفرف في الهواء النقي والمعطر باشجار السرو والشربين. هذه الألوان والاحاسيس العديدة تسحر غاي، وهي التي تعودت على الوان انكلترا الباهتة.

وبابتسامة لامبالية توجه عالم الاثريات نحو المقهى. فقالت الكاتبة:

«سنغتسل ونغير ملابسنا قبل فطور الصباح. من حسن الحظ ان البك اقتنع اذ يرسل اليك بعض الملابس».

بامتنان، ابتسمت غاي لعالم الاثريات، الذي ربت على كتفها تشجيعاً. مساء امس، لم يتسنّ له فرصة اخبارها عن حديثه مع البك، لأن فاليري كانت مستعجلة للذهاب، بعد ان اعطت التدابير اللازمة لمصطفى، وقالت بأن الوقت سيكون متاحاً للجميع في

الحديث خلال الطريق. وغاي لا تعرف شيئاً الا ان البك بعث لها برسالة مفاجئة قائلاً انه ينتظر عودتها بفارغ الصبر وان منزله سيكون مفتوحاً لها متى شاءت وشعرت بحاجة الى اللجوء مهما كانت الظروف.

«. . . مهما كانت الظروف». . . نظرت الفتاة الى طريق الجبل الصحراوي، والسهول المنخفضة وشعرت فجأة انها بعيدة جداً عن اسطنبول. فحتى الآن تصرف معها البك احسن تصرف وهي هربت من الملجأ الذي قدمه لها من اجل رغبتها الملحة بالحرية. . . بنظرها، كان منزل البك مثل مصيدة، فخ، سجن. . .

لكن ربما هناك اشكال اخرى للمصيدة!. . .

اصرت فاليري بصوت منزعج:

- استعجلا! لدينا طريق طويل ولا اريد ان اضيع هنا اكثر من نصف ساعة.

قال تشارلز فيليبه بهدوء:

- كل شيء في وقته. . . ستحصلين على كل الشروح الممكنة في الوقت المناسب، يا غاي. وبانتظار ذلك، معك رسالة البك! واذا اردت معرفة رأيه فهو غير مستاء منك بل يهمه راحتك وصفاء ذهنك.

قدم لها تشارلز حقيبة صغيرة حملتها وراحت تغير ملابسها في احدى الغرف. ثم تناولوا فطوراً دسماً وعادوا الى الطريق. هذه المرة كانت غاي فرحة، ومعجبة كلياً بالمناظر الممتدة امامها. كانت ترتدي قميصاً خفيفاً وشعرها يلمع تحت نور الصباح وعيناها تضيئان من جديد.

لاول مرة ترى فعلاً تركيا، التي لا علاقة لها بالمدن. انه لمنظر

عظيم وشاسع الجمال. . . احياناً تكون الطريق موحشة الى درجة انها كانت تشعر حيالها بالرعب. ففي قعر الوادي، كانوا يلمحون من وقت الى اخر قافلة جمال افترشت الارض كأنها هناك منذ دهور عديدة. ولما اقتربوا من مدينة صغيرة كانوا يلمحون دائماً المنارة العالية وتليها قوافل الجمال. . .

وفي المدن التي اجتازوها كانوا يلمحون الناس بثياب اوروبية. لكن كلما دخلوا في اعماق الجبال، التقوا برعاة يعتمرون قبعات الفرو ويرتدون المعاطف المصنوعة من جلد الغنم. احياناً يلمحون دورية مؤلفة من جنود في بزاتهم الكاكية. واحياناً يشاهدون رجالاً بشعورهم المبعثرة يرتدون ثياباً بطريقة غريبة.

وكلما بدت المنطقة موحشة اكثر، شعرت غاي بانها قالت وداعاً للحضارة، لوقت طويل. وبالرغم من غرابة احاسيسها امام ما تراه وتكتشفه، كانت الفتاة تشعر باحساس مزعج يحتلها.

اما بالنسبة الى فاليري لنسداون فكانت تبدو وكأنها تعود الى الحياة من جديد. انتفى مزاجها العكر كأن الحياة الحضارية تكبلها. وهنا في هذه المناطق القاحلة تستعيد طيرانها وتحلق كنسر يعشق المسافات.

وكانت كلما مرت امام جبل مرتفع او منظر غريب. تعبر عن اعجابها باستغراب مرح. ومرة قالت:

- انتظر حتى ترى المنزل، يا عزيزي تشارلز.

كانت توجه الحديث اليه فقط. تابعت تقول:

- انا اكيدة انك ستشعر بالدهشة والامتنان. اشتريته منذ عدة سنوات من رجل يحب الوحدة الكاملة، مثلي انا. وصرفت مبالغ ضخمة لاجعله حديث العهد. عندما اصر على شيء ما، لا اعد المصاريف! والحسن الحظ، ليس علي ان اقلق بسبب المال!

اجابها تشارلز بلا مبالاة:

- هذا يعني انك امرأة ثرية جداً، يا عزيزتي فاليري. هل هذا المال يعود اليك بعد موت المرحوم زوجك؟

ابتسمت المرأة وقالت:

- بالفعل، اضافة الى ما ورثته من والدي. لكنني لا اخجل اذا قلت بانني تزوجت لاسباب مادية. وفي المرة المقبلة، لن ارتكب خطأ كهذا!

- هل كان ذلك خطأ؟

- بطريقة ما، نعم. . . لكن هذا الزواج ساعدني على تحقيق امور عديدة ما كنت افكر بتنفيذها لو لم اكن املك المال اللازم. ولولا هذا الزواج الاول، لما توقعت زواجاً ثانياً له نجاح كبير، اليس كذلك؟

- الا اذا كنت تعتبرين ان المال الكثير ليس شرطاً اساسياً لنجاح الزواج.

- وانت، يا عزيزي، هل تملك الكثير من المال؟ يبدو انك تحقق ما ترغبه، وحسب معرفتي، لست بحاجة الى العمل لتكسب رزقك! لكن، لا شك انك تحب تنفيذ امور عديدة. مثلاً، المغامرات والرحلات تكلف المال الكثير، ولست تملك الوسائل لتنظيمها؟ لا شك انك تملك احلاماً سرية، يا تشارلز، اليس كذلك؟

قطب السائق حاجبيه من دون ان يزيح نظره عن الطريق وسألها:

- هل تعرفت الى انسان ثري قادر ان يحقق كل امنياته السرّية؟

- كلا، يا عزيزي، وهذا ما أريد قوله! رجل مثلك يجب عليه ان يكون قادراً ان يحقق كلّ ما يرغبه. اي شناعة ان يضطر الانسان للتسول كيما يصل الى المال الكافي للقيام بمغامرة معينة! بينما بامكانك ان تقوم باكتشافات رائعة لو. . . لكن هناك دائماً (لو). . .

هذه المرّة لم يرد عليها. ارتاحت فاليري في مقعدها وألقت برأسها الى الوراء ثم راحت تعبّر بلهجة حالمة:

- عندي مشاريع، يا تشارلز، وساعرضها عليك قبل ان تغادر المنزل. ستتكلم عنها مطولا... وأنا اكيدة بأنني سأتوصل الى اقناعك!

بدأت الشمس تغيب وحلّ الظلام. اجتازت السيارة القرية بسرعة ثم اخذت طريقاً متعرجاً حتى دخلت اخيراً عبر باب سميك. لقد وصلوا... مرّت السيارة عبر ابواب عديدة قبل ان تتوقف امام منزل ابيض، حديث، تحيطه الازهار الزاهية. انفتح باب الفيللا واطلت منه امرأة شابة وقالت باللغة الفرنسية:

- لم اكن اتوقع وصولك باكراً، يا سيدي. لكن كل شيء جاهز.

- حسناً، يا ماري. هذه الآنسة نيكولسون. ستكون سكرتيرتي لمدة اسابيع قليلة... وهذا ضيفي السيد فيليبه!

فوجئت غاي بهذا التعريف. لم يسبق ان ذكرت مدة بقائها. ولما تكلمت فاليري عن اعمال المساعدة، عبّرت عن اقتراح بسيط.

حيّت ماري الحضور بانحناءة من رأسها وهمست تقول:

- مساء الخير، سيدي... مساء الخير، آنستي.

- خذي الآنسة نيكولسون الى غرفتها، يا ماري، واجلبي لنا الى الصالون بعض المشروبات المنعشة.

احمرّت غاي وشعرت بالاهانة واضطرت ان تتبع ماري. ببساطة طردتها الكاتبة وبسهولة. تهيأ للفتاة ان تشارلز يتتبعها بنظراته وتجعيدة قلقه على جبينه.

ادخلتها ماري الى غرفة شاسعة مزينة على الطريقة العصرية، لكنها باردة... بل جامدة. والحمّام المجاور لها حديث العهد ومجهز

بكل ما يخطر في البال. هنا أيضاً ارتعشت غاي عند دخولها ربما لأن البلاط اسود والمغطس اخضر. لكنها تذكرت انها في الجبل والليالي هنا باردة.

لاحظت ماري ان الفتاة ترتجف فقالت لها باللغة الانكليزية:

- في البيت التدفئة مركزية. آمل ان تجدي هذا الديكور جميلا ويبعث على العمل الجيّد. تصرّ السيدة ان يتمتع موظفوها بالترف ووسائل الراحة.

- آه... فهمت.

لم تكن تعرف ما تقوله، كما ان الخادمة لم تكن على استعداد للانسحاب. فجأة سمعت الفتاة ضجة غريبة، سبق ان سمعتها لدى وصولها وفكرت انها عواء الكلاب. فانتفضت وسألت:

- ما هذا الصوت؟

- انها ببساطة حيوانات اليفة للسيدة...

ابتعدت الخادمة وفتحت الباب، ثم التفتت بالفتاة وسألت:

- ... هل ستتناولين العشاء مع السيدة والسيد فيليبه؟

نظرت اليها غاي بدهشة وتلعثمت:

- لكن، انا... نعم، من دون شك!...

- يصدف ان تتناول سكرتيرة السيدة طعامها برفقتها، لكن احياناً، تفضّل ان يتناول موظفوها طعامهم في غرفتهم. سنعرف الآن ما هو قرارها بهذا الخصوص. وبانتظار ذلك سأضع صحنك في غرفة الطعام.

بعد ذهاب الخادمة، ظلت غاي عدة لحظات جامدة مكانها، مليئة بالدهشة والتساؤل. لديها احساس انها التقت بكائن شرس، غير اناني. اضافة الى ذلك لم تفهم جيداً لماذا تعامل مثل خادمة منذ

وصولها. كانت الفتاة على استعداد ان تساعد السيدة لنسداون قدر المستطاع، لتشكرها على الأقل. لكن ليلة وصولها بعد رحلة طويلة ومتعبة، كانت تتوقع ان تلاقي استقبالاً كأي ضيف الى هذه الفيللا . . .

لقد قالت بوضوح: «ضيفي . . . السيد فيلييه» . . .

ارتدت غاي فستاناً من الساتان الاسود وخرجت للقاء الآخرين في الغرفة الكبيرة. كان المنزل مبنياً بشكل مستطيل والغرف تحيط الصالون من كل جوانبه. فالمنزل مؤلف من طابق واحد.

ولما وصلت الفتاة الى الصالون لم تجد احداً. النار تشتعل في المدفأة ورائحتها تعبق في كلّ المكان. وبارتجاف خفيف تقدمت من المدفأة المبنية من حجارة القرميد، ولفت نظرها لوحة معلقة فوق المدفأة، تمثل مكاناً موحشاً، صحراء ربما، في وقت الغسق. اشعة شمس المغيب تضرم كل حبة رمل، كل صخرة، كأنها تحولها الى جحيم لاهب.

وبالرغم من كون ماري الخادمة الوحيدة، فقد كان المنزل نظيفاً ومرتباً. المقاعد الواسعة والارائك المريحة كانت موزعة بذوق كبير. وقبالة المدفأة على الحائط جلد نمر كبير محنط. الرأس المحافظ عليه كما يجب، يخيف فيلاً! والشعلة المنعكسة في العينين الزجاجيتين تبعث فيها الحياة.

ازاحت الفتاة نظرها بسرعة، ففضلت التأمل بآنية الزهور الكثيرة وبالستائر المخملية المخرّمة وعدة أشياء وضعت هنا وهناك على الطاولات والرفوف.

تقدمت الفتاة من مكتبة صغيرة، عندما سمعت حركة جعلتها تلتفت وراءها. دخل تشارلز فيلييه.

كان يرتدي بزة من السموكينغ الابيض وربطة عنق سوداء على شكل فراشة. شعره المسرّح باتقان يلمع تحت بريق اللهب. وبينما كان يتقدم نحوها، لاحظت غاي بعض الخيوط الفضية حول صدغيه، مما زاد من رجولته واناقته الطبيعية. وبعينيه الرماديتين كان ينظر الى وجهها مفصلا. ثم قال:

ـ تساءلت اين اختبأت! هل شربت شيئاً ما على الاقل؟ هل احضرت ماري المشروبات المنعشة الى غرفتك؟

ـ كلا، لكنني لست بحاجة الى شيء، ارجوك! . . .

رآه يقطّب حاجبيه ويقول:

ـ الامر غريب، اليس كذلك؟ لا شك انك كنت بحاجة الى ان تشربي شيئاً بعد هذه الرحلة الطويلة! ساصرّح لك انك، لو فكرت ملياً، لرفضت خوض هذه المغامرة بهذه السرعة . . . انت شاحبة الوجه ولست على ما يرام . . . في كلّ حال، لم تتحسن صحتك كلياً، اليس كذلك؟

يتكلم بلطف كبير ولمح انها لم تسترجع ذاكرتها بعد بشكل كلّي . . . لكنها قامت بوعد لفاليري خلال لقائهما الاول، ولا تقدر ان تقول لتشارلز ان كل عناصر الموضوع عادت الى مكانها.

ابتسم لها بنعومة وقال:

ـ ساجلب لك كأساً.

جاء بعد قليل وقدّم لها كأساً وقال:

ـ . . . هل تجدين فاليري امرأة غير اعتيادية؟ ربما هي ايضاً سمجة ذات طباع متنافرة! لكنها الانسانة الوحيدة التي بامكانها ان تساعدك في الوقت الحاضر وفي هذه الحالة حيث تحتاجين الى العون الكبير . . . لا اريدك ان تهتمي كثيراً بقسوتها احياناً. انها تغار على

مصلحتك، انا اكيد من ذلك. ربما بامكانها ان تقدم لك عملا دائ
اذا كنت ترغبين بذلك.

اجابت غاي بصوت متقطع:

- بامكاني ان أعود الى بلادي. . . اذا تمكنت من الحصول على جواز سفر، وتوصلت الى ايجاد هويتي الحقيقية. . . فليس لديّ اي سبب للبقاء هنا طوال حياتي!

- سنناقش هذا الموضوع بعد العشاء. لدي امور كثيرة اود ان اخبرك اياها. . .

تدخلت السيدة لنسداون قائلة:

- لكن في الوقت الحاضر، لا شك انكما متضوران جوعاً.

وصلت من دون احداث صوت. كانت ترتدي فستاناً مخملياً وتعلّق في عنقها عقداً من الياقوت وعلى معصمها أساور من الياقوت ايضاً، تزيد من بياض بشرتها. واضافت تقول:

- ماري طاهية ماهرة! وكل ما تفعله رائع للغاية. فهي تعمل عندي منذ سنوات عديدة.

اعلن تشارلز قائلا:

- ما دامت تعتني وحدها بهذا المنزل، فلا شك انها حقاً رائعة.

- سيساعدها مصطفى عندما يصل، بطبيعة الحال. انهما يتفقان معاً كلياً. وللحقيقة احبهما كثيراً لأنهما مخلصان.

وبينما كانت تتكلم لم ترفع عينيها عن غاي، تهيأ للفتاة انها تتلقى انذاراً. . . فشربت جرعة من كأسها لتتخلى عن هذا الاحساس.

فانتبهت فاليري للأمر وقالت:

- ارى انك تهتم بغاي، يا عزيزي تشارلز! انته من كأسك لتتناول العشاء!

وما ان جلسوا امام الطاولة حتى التفتت الكاتبة الى الفتاة وقالت:

- هل انت راضية عن غرفتك يا عزيزتي؟ يوجد مكتب في معظم الغرف هنا. هكذا بامكانك العمل في غرفتك عندما احتاج الى الكتابة. في كل حال، هناك ستطبعين على الآلة الكاتبة. لا اعرف شيئاً عن سرعتك لكنني مستعجلة في عملي. وبعد تمرين متواصل ستتوصلين بطبيعة الحال الى ايجاد السرعة المطلوبة.

ومرّة ثانية احست غاي بتقطيب حاجبي تشارلز، ثم سمعته يحتج ويقول:

- لكن، يا عزيزتي، الا تستعجلين سياق الامور؟ وصلت غاي اليوم وحسب اعتقادي لم توافق بعد ان تكون سكرتيرتك!

نظرت اليه فاليري بابتسامة تخفي قساوة عينيها واعلنت:

- المحتاجون لا خيار لهم. لا اريد ان اقول بأن غاي محتاجة، لكنها في وضع متعلق بالغير، اليس كذلك؟ انت يا غاي، لا تشعرين بانزعاج اساعدني، سافعل كل ما في وسعي من اجلك. هل من السوء ان اطلب منك خدمة بالمقابل؟

اجابت غاي:

- طبعاً لا.

العشاء مستمرّ وضيفة المنزل تثرثر بفرح وتتحدث عن كل التغييرات التي تنوي انجازها في هذا المنزل. بالكاد يرد تشارلز عليها وغاي ظلت صامتة خرساء. لكن ما ان انتهى العشاء حتى اعلن تشارلز قائلا:

- اسمعي، الاّ ترين انه من واجبنا ان نخبر غاي بما حدث عند البنك؟ لقد قرأت رسالته، لكنها لا تعرف شيئاً. . .

- في الظروف الحالية، من الافضل الاّ تعرف شيئاً! الرسالة كافية

لتهدئة روعها. اما بالنسبة الى كريم!...

سألها تشارلز وتجعيدة مرّة على شفتيه:

- رأيت كريم قبلي، اليس كذلك؟

- بالفعل. لكنني أعمل لصالح غاي! لست عاطفية وعلى استعداد لطلب النجدة من الملائكة! اذا فعلت ما انصحها به وتحلّت بالصبر لمدة اسابيع قليلة، كل شيء سيكون على ما يرام. كما بامكاني ان اتنبأ لها بمستقبل رائع وجميل!

- صحيح؟...

كان يلاعب كأسه بعنف كأنه على وشك ان يكسره. ثم اضاف يقول:

-... لا احب التعامل مع الاشياء الغامضة. وفي كلّ حال لا يمكنك ان تقرري مستقبل فتاة بهذه الطريقة المختصرة! عليك ان تأخذي برأي غاي بهذا الخصوص!

- سآخذ برأي غاي اما الآن فعليك ان تتذكر انني تخليت عن كل اهتماماتي لآتي بغاي الى هنا. كما افضل ان اراك تهتم بي قليلا يا تشارلز، يا صديقي! انه دائماً مهم بالنسبة اليّ ان اصل الى هنا! اريد ان تقاسمني هذا الشعور بالفرح، هنا اكون سعيدة جداً! هناك امور عديدة احب ان اناقشها معك، في المساء، واطلب منك ان تعطيني كل انتباهك، اذا كان هذا ممكناً!

لم يكن هناك شيء للرد عليه. وغاي، بنفسها عليها الموافقة على الامر. وعدت نفسها بالانسحاب متى سنحت لها الفرصة.

ولن يطول الامر. ما ان سكبت الفتاة القهوة بأمر من فاليري حتى تبينّ ان صاحبة الفيللا منغمسة في تأمل صامت، عميق وموحش. كانت تتأمل السماء المخملية السوداء بنظرات منزعجة. وفهمت غاي

في الحال ان عليها الذهاب الآن الى غرفتها. نهضت واعتذرت بلطف وتهذيب، فابتسمت لها السيدة لنسداون قائلة:

- طبعاً، يا صغيرتي! لا شك انك مرهقة! اذهبي الى فراشك ولا تنهضي باكراً صباح الغد! ستجلب لك ماري الفطور الى السرير.

نهض تشارلز ومدّ للفتاة يده وقال:

- تصبحين على خير، يا غاي. استريحي جيداً. ونامي جيداً، هذه الليلة.

كادت ان ترد عليه عندما سمعت عواء عنيفاً من الخارج، تبعه زئير مرعب، الصوت نفسه الذي سمعته حتى الآن مرّتين. هل من الممكن ان يكون ذلك صوت الأسد؟

التفت تشارلز الى فاليري وقال:

- لا تقولي، يا عزيزتي، انك تخشين وحدتك وانت محاطة بحيوانات متوحشة تحت حمايتك؟

ابتسمت المرأة وقالت:

- لست بحاجة الى حماية، يا تشارلز... انام دائماً ومسدسي تحت وسادتي وهذا كاف! لكن هذه حيواناتي الاليفة، سأعرفها اليكما في الغد. فالكلاب هنا، كما هي الحال في هذه المنطقة، متوحشة. لذلك انصحك، يا غاي، بعدم التنزه خارجاً خلال الليل! اما خلال النهار فانها مقيّدة، وفي المساء، نطلق سراحها.

اجابت الفتاة بهدوء:

- اشكرك للفت نظري.

اكملت طريقها وقبل الخروج كلياً، تسنى لها الوقت ان تسمع تعليق تشارلز وهو يقول:

- يا لها من فكرة غريبة، يا فاليري!

اسرعت غاي الخطى، تاركة تشارلز وفاليري وحدهما. وجهاً لوجه، تحت الشرفة.

وتساءلت الفتاة: كم من الوقت سيبقيان هنا، هذا المساء؟

... لا شك ان فاليري منتصرة!...

٥- أسُود وكلاب

على صينية فطور الصباح، وجدت الفتاة بطاقة. ففتحتها وقرأت بخط ناعم ان تشارلز والسيدة لنسداون ذهبا في نزهة على الخيل. واذا لم يعودا في منتصف فترة الصباح، فستأخذها ماري الى غرفة المكتبة، حيث تركت لها السيدة لنسداون بعض اعمال السكرتارية، في حال شعورها برغبة في بدء العمل.

اخذت غاي حماما ساخنا، ثم ارتدت ملابسها باتقان. اختارت فستانا من القطن الناعم، انيقا محتشما في آن واحد. وماري التي لم تظهر اي لهفة او إلفة، دلتها على غرفة المكتبة، واشارت لها الى وجود بطاقة اخرى على المكتب ثم خرجت.

داخل البطاقة وجدت المعلومات اللازمة وضعتها فاليري بوضوح

شارحة ما يجب لغاي ان تفعله. الآلة الكاتبة موضوعة في مكان مريح، قرب تلة من الاوراق البيضاء. كما وجدت على الطاولة دفترا مليئا بالافكار المدونة التي من واجب غاي ان تطبعها على الآلة الكاتبة.

عملت الفتاة حتى وقت الغداء من دون ان تفكر بشيء. بالفعل، عندما جلست امام الآلة الكاتبة، شعرت بسعادة وارتياح، لم تشعر بهما منذ اليوم الذي غادرت فيه الى انكلترا على متن هذه الطائرة المشؤومة التي غيّرت مصيرها!

لو لم تكن جالسة في غرفة مريحة لتصورت نفسها في مكتب عملها اللندني! كأن هذه الاشهر الماضية لم تكن سوى حلم تقطعه طرقة الآلة...

لكن لا شيء يقدر ان يمحي ذكرى العناق مع الرجل ذي العينين الرماديتين والبشرة الملوحة بالشمس! تمرّ الايام، وما تزال رائحته في خيالها. ومهما سيحدث لها بعد الآن، سيظل هذا الفعل، بعفويته وعنفه، يجعلها ترتجف دائما في اعماق كيانها...

فجأة، نهضت من مكانها وتوجهت نحو النافذة وراحت تتأمل الساحة الكبرى المحاطة بجدران عالية. الشمس تضيء الحديقة وازهارها الزاهية، لكن غاي لم تكن ترى شيئا من هذا المنظر. قمم الجبال العالية المغطاة بالثلوج والسماء الزرقاء تبدو كأنها تذوب في ضباب غامض تبرز من خلاله صورة تشارلز فيلبيه. لقد اصبح الانسان الوحيد والمهم في حياتها.

لم يكن ينوي عناقها، وهذا ما تعرفه جيدا. وربما لن يعانقها ابدا بعد الآن... لا شك ان السيدة لنسداون سيحتلها غضب اسود اذا عرفت بهذا الامر فليس من الضروري ان تتمتع غاي بالالهام

والوحي لتفهم نوايا فاليري تجاه عالم الاثريات.

انها تعرفه جيدا، تعرف شغفه بالحرية، وكرهه الكبير للتقيد بالحياة العائلية. لقد قال لها بنفسه انه لن يتزوج ابدا... لا يمكن ان تروّض نسرا او تدعو حيوانا مفترسا ان يبني بيته في شرنقة من الحرير! وبرغم صغر سنها، فهمت غاي تشارلز فيلبيه تماما، وتجد ان من حقه احتقار هذا النمط في الحياة! انه يخشى الحياة المنزلية. امرأة واحدة فقط، فاليري لنسداون وحدها، الوقحة مثله والمليئة بالمغامرات، بامكانها ان تقدم له حياة جديرة به. الكاتبة امرأة ذكية! لن تفرض عليه شيئا، لكنها تعرف كيف تكون المرأة التي لا غنى عنها. ستجلب له اشياء لا يمكنه ان يحصل عليها بنفسه. فاليري امرأة صبورة. ستنتظر. ربما تنتظره اسابيع او شهوراً، او سنوات!... لكن في النهاية، ستكون الرابحة وهذا ما تقتنع غاي به.

ومنذ الحوادث الاخيرة، بدأت تشعر بانها كبرت سنا وبانها عاقلة جدا. لم تشف بعد من الصدمة التي سببها الحادث خاصة كونها الناجية الوحيدة. هذا الامر الغامض يجعلها احيانا تشعر بخوف رهيب خلال الليل، وهي تحاول عبثا ان تجد النعاس في العتمة الصامتة. لماذا نجت من هذا الحادث؟ لماذا هي بالذات؟ انها وحيدة في هذا العالم ولن يبكي عليها احد او يتأسف لموتها... واسوأ ما في الامر، انها منذ أن تعرفت الى بعض الاصدقاء وهي تسبب لهم المتاعب!

تشارلز فيلبيه هو الانسان الوحيد الذي يهبها الراحة والطمأنينة عندما تفكر فيه، خلال لياليها البيضاء الطويلة. وكلما فكرت فيه، ازداد تعلقها به، كما تشعر بالوحدة والضياع عندما يبعد عنها! لو كانت تتمتع بحس واع وادراك، لما حاولت ان تطلب مساعدته، في

حدائق البك. كان عليها ان تحاول الخروج من مأزقها من دون مساعدة احد وان تفهم ان البك لم يؤذها ابدا. بالعكس، فقد احاطها دائما بلطف كبير، وعاجلا ام آجلا، لا بد أن يجد لها حلا.

ما كان يجب ان تقتنع بعناد ان تشارلز فيليبه هو الانسان الوحيد القادر على مساعدتها، لدى رؤيته خلال الحفلة الراقصة في منزل البك في اسطنبول! لقد خاطرت في هذه المغامرة التي تسبب ازعاجا لتشارلز... وليس غريبا ان تكون السيدة لنسداون حاقدة عليه بسبب ذلك. فضلا عن غضبها البارد الذي تحاول جهدها ان تخفي حدته امام تشارلز.

لو بقيت في اسطنبول، لربما وجدت طريقة للعودة الى لندن. اما هنا وسط هذه الجبال الموحشة، فقد اصبحت سجينة اكثر مما كانت عليه من قبل، وبدأت تشعر باحساس عميق بالضيق.

«موعدنا في اسطنبول!» فهي تعرف الآن من قال هذه الكلمات ولماذا لو لم يقل هذه الكلمات، لو لم تغادر انكلترا!

لكن لا جدوى من ان تفكر بهذه الامور في الوقت الحاضر. انها على بعد ساعات عديدة من المدينة، تسبب المشاكل لتشارلز وتوقظ عند فاليري لنسداون توترا مستمرا. ماذا بامكانها فعله؟

حملت ماركة صينية الغداء الى غرفة المكتبة وتساءلت الفتاة، اذا كان ذلك جزءا من مخطط فاليري للسيطرة عليها. انهت عملها وبدأت تشعر بثقل الصمت داخل الغرفة، فقررت الخروج الى الشمس، لا شك ان السيدة لنسداون وتشارلز لم يعودا بعد، لانها لم تلمح احدا داخل قاعة الاستقبال، ولم تسمع وقع حوافر الخيل.

رفعت نظرها نحو الجبال المجاورة الواضحة تحت السماء الصافية

وفكرت انه لو كانت في ظروف اخرى لوجدت هذا المكان رومنطيقيا ومثيرا وساحرا.

لو انها فقط حرّة ان تذهب وتجيء في هذا المكان الساحر... ان تجتاز طرقات الجبال، على الخيل، برفقة تشارلز!... وقضاء السهرات معه امام المدفأة، ومشاطرته جلساته الحميمة امام المكتبة ومناقشة اعماله!...

وقالت لنفسها: «في مثل هذه الظروف، هل كنت اشعر برغبة في مغادرة هذا المنزل البعيد عن العالم؟».

ولمدة لحظات قليلة، احست بغيرة قوية من فاليري، غيرة عميقة جعلتها ترتجف حتى الارتعاش. وقررت عدم التفكير بتشارلز واكمال نزهتها.

اجتازت ساحات عديدة تشبه بعضها واكتشفت اسطبلات ومرائب ومستودعات. لكنها لم تجد بابا واحدا مفتوحا على العالم الخارجي. الابواب جميعها سميكة واقفالها محكمة وخالية من اي مفتاح. احيانا كانت ترى اشباكا صغيرة داخل فرجة في الخشب، وكانت تتأمل من خلالها في حيرة لانها كانت حقا تشعر بانها سجينة في قلب الجبال. وكان يتهيأ لها ان عيونا تراقبها من خلال هذه الفتحات.

زاد انزعاجها، فقررت التخلي عن نزهتها والعودة الى المنزل. وبينما كانت تقترب من احدى الاسطبلات، ارتمت فوقها كتلة من الشعر وسمعت صوتاً آمراً يقول:

- ارضاً، يا سوللابا!

انه صوت امرأة ولهجته متحكمة، فاطاعها الكلب الضخم بسرعة. وشعرت غاي ان شعرها انتصب فوق رأسها. فظلت

مسمرة مكانها.

المرأة كانت ماري الخادمة التي راحت ترمق الفتاة بنظرات شاكية وتجر كلبا آخر بطرف حبل، يبدو انه اكثر عدائية من الآخر.

قالت ماري بصوت مليء بالاحتجاج:

- ما كان يجب ان تأتي الى هنا ما دام المكان لا يخصك، يا آنسة نيكولسون. اذا حصل لك شيء فانت وحدك المسؤولة!

أجابت غاي محاولة ان تهدىء من روعها بالرغم من عواء الكلبين:

- لا افهم ما تقصدينه. كنت اقوم بنزهة صغيرة. صحيح ان السيدة لنسداون حذرتني من كلابها المتوحشة، لكنها افهمتني انها مربوطة خلال النهار.

- بالفعل، الكلاب مربوطة، عادة. وأحياناً آخذها في نزهة... سولابا وبيديا لا يؤذيان الا اذا هاجمهما احد، او اذا دخل الغرباء الى المنزل...

- كنت ببساطة أتنزه حول المنزل. اين بامكاني اذن ان اذهب ما دامت ابواب المنزل مقفلة؟ الا يحق لي الخروج من هنا؟

رفعت ماري كتفيها كأن ذلك لا يعنيها. ثم حذرت غاي الا تقوم باي حركة نحو الكلبين قبل ان تقدمها اليهما.

فصرخت تقول:

- لا تقتربي!

من دون تفكير مدت غاي يدها نحوهما، ذلك لانها تعشق الحيوانات وتجد هذين الكلبين رائعين. ثم اضافت الخادمة تقول:

- ... الا اذا كنت تبحثين عن المشاكل. عندما تقرر السيدة ان

تقدمك الى كلابها، فتكونين بامان اينما ذهبت.

- لكن الا يمكنك انت ان تقدميهما الي؟

زمت الخادمة شفتيها وظهرت في عينيها ملامح عدم الرضى وقالت:

- لا اوافق على رغبات سيدتي!

فوجئت غاي بهذا الجواب وشعرت ببرد حاد يجتاحها. صحيح ان الطقس ليس حارا مثل اسطنبول، لكن الشمس عالية في السماء ولا سبب حقيقيا كي ترتعش.

نظرت اليها الخادمة لحظة بطريقة غريبة، ثم ظهر الاسترخاء على وجهها قليلا وقالت:

- ما دمت تهتمين بالحيوانات وبطريقة عيشهم، فلا شك انك تحبين رؤية بقية الحيوانات الاليفة لدى السيدة؟

كان هذا أمراً اكثر من كونه اقتراحا. استدارت وتوجهت الى خلف الاسطبلات. فتبعتها غاي. وصلت امام باب مطلي باللون الازرق، بحثت بجيب مريولها واخرجت منه مفتاحا. وبنظرة سرية فتحت الباب وابتعدت تاركة المجال للفتاة ان تمرّ وهي تحدق في وجهها بانتظار ردة فعلها.

يطل الباب على ساحة اخرى محاطة بالجدران العالية جدا. وفي الوسط قفص متين... فجأة انتفضت الفتاة وابتسمت ماري باشمئزاز ثم توجهت نحو القفص وهي تتكلم بهدوء وبصوت موسيقي رنان، انتفض الاسدان فوق الاسلاك وراحا يطلقان الاصوات المرعبة.

ابتعدت غاي نحو الباب شاحبة الوجه. اطلقت ماري ضحكة ساخرة وسألتها:

- أليسا فعلا رائعين؟

وبطرف اظافرها راحت تحك الاسلاك السميكة، مما زاد من زئير الاسدين وضحكت ثم راحت تقول:

- . . . من السهل جدا اغضابهما، ومن الصعب تهدئتهما! اما انا شخصيا، فلا اجد صعوبة معهما. لقد جاءت سيدتي من احدى اسفارها وانا اهتم بهما منذ اكثر من سنة. سأحزن كثيرا اذا ما قررت سيدتي ان تهبهما لحديقة الحيوانات. في كل حال انهما هنا افضل مما يكونان هناك، وتشعر سيدتي بامان ما داما في الجوار. . . الجميع بامان. . . ما داما لا يتجولان في اي مكان!

ولما عادت غاي الى المنزل سمعت اصواتا داخل قاعة الاستقبال. وبينما كانت تتسلق السلالم، سمعت السيدة تقول انها سعيدة جدا وانها لا تحب ان تعيش في المجتمع. وكذلك اضافت تقول:

- يشعر المرء بنشاط وسعادة عندما يكون حرا. واي مكان للحرية الا هنا في الجبل؟ هذه النزهة اتعبتني قليلا، لكن في الغد، سآخذك الى مكان ابعد بكثير. وسأريك القرية حيث يعيش هذا الرجل العجوز العاقل الذي يفعمني بالنصائح المفيدة. وستوافقني الرأي ان لا وجود لمثله الا في هذه القرى البعيدة!

لمح تشارلز الفتاة وهي تدخل الصالة وقال باستغراب:

- يا الهي، غاي! هل رأيت شبحا؟

حاولت الفتاة ان تضحك بشكل طبيعي، ثم هزت رأسها وقالت:

- طبعا لا!

رمقتها فاليري لنسداون بنظرة ثاقبة. كانت ترتدي قميصا حريريا وسروال الخيل. وبابتسامة ساحرة قالت لغاي انها وصلت في الوقت

المناسب لاحتساء الشاي معها واضافت:

- آمل أن تكوني قد تدبرت امرك وان تكون ماري قد اهتمت بك جيدا! حاولت ان اكون واضحة قدر المستطاع في الرسائل التي تركتها لك هذا الصباح. لكن اذا لم تنتهي من عملك، فليس الامر خطرا. . . لسنا في اليوم الاخير!

لم ترد غاي في الحال، لكن تشارلز كان مصرًا على عدم الاكتفاء بجواب غامض فقال:

- كيف امضيت نهارك، يا غاي؟ فكرت فاليري انه من الافضل ان نتركك اليوم وحدك. ولم نكن نعرف اذا كنت تعرفين ركوب الخيل. ستأتين معنا في المناسبة المقبلة اذا كنت تحبين ركوب الخيل! لكن لماذا حقا انت مضطربة؟

- لست حقا مضطربة.

كانت غاي خجولة من نفسها. فماري تشهد الرعب الذي احتلها امام الاسدين، ومن دون شك، ستسخر السيدة لنسداون منها اذا اعترفت لها أنها خافت من هذه الحيوانات.

- أخذتني ماري لرؤية حيوانات السيدة الاليفة و. . .

قاطعها تشارلز بحيرة:

- اي حيوانات؟

شرحت فاليري تقول بسخرية:

- سافير وجوبيتير. . . الظاهر ان صديقتنا من الناس الذين يخافون الحيوانات الضخمة! لا شك انها تشعر الآن بالخوف والذعر! لكن لو رأت هرا داخل المنزل، لكانت طلبت مني السماح لها بأخذه الى غرفتها!

قطبَ تشارلز حاجبيه وقال:

ـ دعينا من سخريتك، يا فاليري! غاي معتادة على القطط، لكن حتى اليوم، لم يقع نظرها على مثل حيواناتك الضخمة الا في حديقة الحيوانات! لا يجب ان تصدري احكاما على الآخرين من خلال نفسك، ولا ان توزعي ميداليات الشجاعة التي تتحلين بها وحدك!

ـ انا مختارة، يا عزيزي.

ـ غاي شجاعة على طريقتها الخاصة...

ـ انا اكيدة من ذلك، من بامكانه ان يشك بالامر؟ وهي التي عاشت ستة اشهر عند البك، وفضلت الهرب على الاقتران من ابن اخيه!... من الشجاعة ان تتخلى عن الترف خاصة وانها لم تتعود عليه!... اعطني سيكارة، يا عزيزي.

اشعل لها سيكارة، فاخذت سحبة عميقة فتطاير الدخان المعطر في وجه تشارلز الذي بقي عابسا. ثم قال فجأة:

ـ لا اريد احتساء الشاي. افضل ان آخذ حماما واغير ملابسي، اذا سمحت... لكن انت يا غاي، تناولي الشاي، فانت لا شك بحاجة اليه!

همست فاليري:

ـ نعم، اليس كذلك؟

وقبل ان يخرج من الباب، استدار نحوهما وقال:

ـ آمل الا تكون «قططك» متمتعة بكثير من الحرية، يا فاليري؟

ـ آه، لا. اطمئن! انها في القفص وماري تملك المفتاح الوحيد الموجود هنا. فهي خادمة امينة، وكلتها بالامر من دون خوف.

بعد رحيل تشارلز، نهضت غاي وقالت:

ـ سيدة لنسداون، الاشياء التي طلبتَ مني طباعتها...

قاطعتها فاليري التي ارتمت الى الوراء واغمضت عينيها وقالت:

ـ انا شديدة التعب الآن فلا أستطيع أن أتكلم عن هذه الامور. سنراها غدا... وسأكون مسرورة لو تجدين عذرا وتأخذين طعامك في غرفتك، هذا المساء.

ـ حسنا. بامكاني ان اتناول كل وجباتي على حدة، اذا كنت ترغبين بذلك!

ـ سنتفق على هذه الامور، غدا... عندنا اشياء كثيرة علينا ان نبحثها معا. لقد سبق أن أعلمتك بذلك، لكنك فتاة طائشة! تبا لك!

نظرتها السوداء ثقيلة بالتهديدات...

كانت غاي واقفة امام مرآتها تمشط شعرها عندما سمعت طرقا خفيفا على زجاج نافذتها. النهار ما زال مضيئا لكن بشحوب بالرغم من غياب الشمس وراء الجبال. فقط قممها الوردية ما زالت مضاءة وسيلفها الظلام عما قريب.

ولما دقت اليد السمراء على الزجاج مرّة ثانية، لم تنتبه في الحال. لكنها عرفت الطارق وفتحت له الباب الزجاجي بسرعة.

فصرخ تشارلز يقول:

ـ غاي ليس معي الا دقائق معدودة! يجب ان اكلمك!

ـ هل بشأن ما كنت تنوي ان تكلمني به مساء امس؟

بدا عالم الاثريات متوترا للغاية وقال:

ـ اعتبرت فاليري امس ان اي مناقشة معك تكون عديمة الفائدة. في الواقع تفضل العمل على الكلام. لكنني اعرف انك لا تتحملين

جيدا الوضع، واردت ان اطمئنك، بالكلام يمكننا ان نوضح بعض النقاط. منذ قليل كنت تبدين حائرة ومضطربة.. والآن ايضا تبدين متوترة. اين بامكاننا ان نتكلم؟

ـ تعني، من دون معرفة السيدة لنسداون؟

ابتسم تشارلز وقال:

ـ انت وانا يبدو اننا نضع انفسنا دائما في مواقف مستحيلة! لا نرى بعضنا الا داخل سيارة، او في غرفة فندق... وهذا ما جعل صاحبة المكان تغضب على براءتك السليمة!... على فكرة، لم تقولي لي اذا نمت جيدا في سريري واذا كانت البيجاما مريحة!

اجابت الفتاة بسرعة:

ـ اعتقد انه من الافضل الا نتكلم هنا، لان ذلك سيزعج السيدة لنسداون، بكل تأكيد. لكن لا شك انه لك الحق ان تتنزه في الساحة وبامكاني ان آتي معك.

ـ حسنا. حتى ولو رأتنا فاليري، فهذا لا اهمية له. فانا من استنجدت به اولا... وسأساعدك، يا غاي، بكل قواي، اذا فشلت خطة فاليري... اعدك وعدا قاطعا!

ولفترة قصيرة تمشت غاي قربه بصمت ثم رفعت عينيها الخضراوين نحو رفيقها وقالت:

ـ هل تعرف شيئا عن خطة فاليري؟

ـ ابدا. ما اعرفه انه بامكانها توظيفك كمساعدة دائمة لمدة سنة كاملة. هل هذا يرضيك، يا صغيرتي؟

ـ كيف اعرف اذا كنت اعجبها؟

قال لها بنظرة دافئة:

ـ ستعجبينها، انا متأكد من ذلك... هل صحيح انك كنت

سكرتيرة في الماضي، يا غاي؟ فاليري قالت لي انك تذكرت هذا الامر بمساعدتها.

رفع تشارلز ذراعيه نحو السماء بارتباك وحيرة وقال:

ـ لا افهم! هناك حقا امور كثيرة غير مفسرة في قضيتك! اولا لائحة الركاب حيث لا وجود لاسمك. ثانيا، شبهك بسيسيل ميتلاند... وبالرغم من رفض فاليري، سأخبرك ماذا جرى عند البك. عندما استقبلني، اخبرته كل شيء، من دون ان اخفي عنه شيئا... وللحال، ارسل وراء كريم، الذي اعترف بكل شيء بهدوء كبير. كان كريم يعرف من تكونين، لكنه لأسباب خاصة، فضل الا يعلم البك بهويتك... حينذاك صرّح لي اورهان بك ان عليك ان تعتبري منزله منزلك، متى شئت ذلك.

ـ في هذه الحال، اليس من الافضل ان أعود اليه؟ افضل ان ابقى معه والا ازعج السيدة لنسداون!

تسمّر عالم الاثريات مكانه وقال بحزم:

ـ لا! ما دام كريم هناك!

ـ لكنه صرّح عن كل ما يعرف! فلم يعد هناك اي خطر!

تأملها بامعان. لو رفعت غاي نظرها نحوه في تلك اللحظات، لترددت من دون شك في اكمال المناقشة الشخصية في هذه الحديقة وفي هذا الليل وهذه العتمة الخطرة، لكنها لم تجرؤ على ان تلتقي بنظراته. اجابها تشارلز:

ـ كريم ملمّ بالنساء الشابات الجميلات. ولا اعتقد انه اصيب بالعمى في اليوم الذي التقى بك.

ـ اذن بامكاني ان اعود الى انكلترا. لو تساعدني للذهاب...

وضع تشارلز يده السمراء القوية على كتفها النحيلة وقال

بهدوء:

ـ تعرفين انني لا اريد ذلك.

ـ لِمَ لا؟

كان قلبها يخفق بقوة. وفي الظلام الحالك، ظهر الانفعال في عينيها. كان تشارلز يعرف انها تنتظر جوابه باصرار، لكنه لم يقدر الا على اطلاق زفرة عميقة والقول:

ـ لو بامكاني فقط ان اعرف السبب، يا غاي العزيزة!... كل مرّة اراك، اشعر برغبة في ان اضمك بين ذراعي واعانقك. هل هذا يدهشك الى هذا الحد؟ لا شك ان العديد من الرجال شعروا مثلي امامك.

اجابته بجفاف:

ـ انا لا اشجع مثل هذا النوع من التصرفات.

ـ اعرف جيد! انت فتاة ستتزوج يوما وسيكون زوجك حنونا رؤوفا وستلدين الاولاد، الى آخره...! كما سيكون لديك المكان الذي ستعيشين فيه بامان وستنسين ما حصل لك في الماضي، آمل ذلك!...

ظلت غاي صامتة. عطرها يفتن عالم الاثريات ببطء.

ـ غاي، لا... لا يمكنني ابدا ان اكون الزوج المناسب لك. اندم احيانا لانك اخترتني انا بالذات، لاساعدك! القدر اكد عن قساوته لانه جعلنا نلتقي، ذلك لاننا لا نستطيع البقاء معا. حياتي لا علاقة لها بالاشياء الناعمة التي تحتاجين اليها. ان اتصورك بعيدة عن منزل حقيقي شيء مستحيل، كما هو مستحيل بالنسبة اليّ ان امارس مثل هذه الحياة. لا يمكنني الاستقرار ابدا. لدي منزل في انكلترا لم اذهب اليه منذ خمس سنوات. انه مكان يمكنك ان تعيشي فيه سعيدة، لكن

ذلك لا ينطبق عليّ. الآن لدي مشروع سفر جديد سيأخذني الى عمق الصحراء، متى حلّت قضيتك... من الافضل لك ان تختاري رجلا آخر!

لم ترد فوضع، بعد قليل، يديه على كتفيها وقال:

ـ هل سمعتني، يا غاي؟

ـ نعم سمعتك جيدا... لكن لماذا شعرت بضرورة التحدث اليّ عن كل هذه الامور؟

انا لم اطلب منك ان تتخلى عن كل شيء من اجلي، يا تشارلز. هذا آخر شيء اتمناه.

قطب حاجبيه وقال:

ـ لكن، ذلك المساء... عندما تركتني اعانقك... ما كان يجب عليّ ان افعل ذلك، خاصة في مثل هذه الظروف، لكنك لم تمنعيني من ذلك!

هزّت غاي رأسها ببطء وقالت:

ـ لم يكن ذلك اول عناق لي ولن يكون...

زاد تقطيب حاجبيه وقال:

ـ هكذا؟

وظل شاحبا. فانغمست اظافر يده بقسوة في ذراعي الفتاة ثم عانقها من جديد بقوة هذه المرة ضاغطا بذراعيه القاسيتين كالحديد.

حاولت الفتاة ان تدفعه عنها، اذ كانت تشعر بالالم، وراح نفسها يتقطع، الا انها تمكنت من ان تقول:

ـ تشارلز!

واخيرا دفعها عنه بعيدا وقال:

ـ لا تقولي انه سبق أن تلقيت عناقا كهذا. والا!...

عيناه كانتا حزينتين. استعاد تنفسه الطبيعي وابتسم ثم اضاف يقول:

- سامحيني! لقد تصرفت كانسان وغد للمرّة الثانية. ربما وجدتني اسوأ هذه المرة! لقد قلت لك، اشعر بحاجة الى عناقك كلما رأيتك . . . وها انا ابرهن لك ذلك! انت تشكلين تهديداً لي، يا غاي!

كانت الفتاة ترتجف كأنها تخلصت من لهب النيران. وفي الوقت نفسه كانت تشعر بثقل بارد ومؤلم فوق صدرها. لكنها توصلت الى القول بصوت هادىء، ومليء بالرأفة:

- يا تشارلز المسكين! انت دائماً محاط بالمخاطر! لكن هذا الخطر لن يجعل حياتك صعبة، اعدك بذلك!

ادارت له ظهرها وتوجهت الى المنزل. فتبعها وقال:

- ما كان يجب ان اقول لك انك تشكلين تهديداً لي. لكن حسب ما اعرفه، لا اعرف خطراً آخر يهددني. . . عماذا تتكلمين؟

ابتسمت له غاي وقالت:

- السيدة لنسداون وانت تتمتعان باشياء مشتركة، اليس كذلك؟ في الوقت الحاضر، انا اكيدة انها ستكون متوترة جدا لرؤيتنا نتنزه معا في الحديقة! لو كنت وحدي لاطلقت سراح الكلاب، لكن بما انك معي فلن تفعل ذلك! على فكرة، هل كان لك الشرف ان تقدم رسميا الى هذه الكلاب؟

اجابها وهو قاطب الحاجبين:

- لا تكوني حمقاء، يا غاي. . . ارجوك، ارجوك، اخبريني ما الذي يجعلك مضطربة، بعد الظهر.

- خفت أولاً من الكلاب، ثم من الأسدين. وماري والسيدة

لنسداون وجدتا ذلك مسلياً ويستحق المزاح.

- لا يجب ان تطلقي حكما سيئا على فاليري. فهي حقا لا تخاف من احد، شجاعتها الباسلة قد تفاجئك، لقد تمكنت من رؤيتها في بعض المناسبات. انها امرأة رائعة.

- رائعة . . . وجميلة جدا.

- نعم، اعتقد ان ما تقولينه صحيح.

- آه، طبعا! زوجها الثاني سيكون محظوظا! . . . هل سترافقك الى اعماق الصحراء؟ لقد لمحت لي مرات عديدة عن مشاريع مشتركة، بينك وبينها. ورأت انه من الافضل ان تحل قضيتي باسرع ما يمكن، حتى تتمكنا من تكريس نفسكما للمشروع الثاني.

وكان على وشك الكلام عندما برز صوت في الليل، صوت ناعم يقول:

- اذا اردت ان تمرض غاي من البرد، فستنجح بذلك، يا تشارلز! لقد نسيت اننا في الجبل وهواء الليل ليس مثل اسطنبول! اضافة الى ذلك، لماذا لم تحضّري يا غاي نفسك للعشاء؟

- اذا كان الامر لا يزعجك، افضل تناول العشاء في غرفتي، يا سيدة لنسداون. اشعر بألم في رأسي.

- طبعا، يا صغيرتي! . . . تعال يا تشارلز، سنتناول كأسا قبل العشاء. ثم نقرأ معا ما طبعته غاي اليوم. وستساعدني لاصلاح ما يجب تصليحه حتى يصير بامكانها غدا ان تطبع لنا النص النهائي . . .

ابتعدت غاي تتبعها نظرات فاليري الباردة.

- تشارلز، هذه الفتاة بامكانها ان تكون مملة، اذا لم تفكر بالامر وتكن حذرا. اعرف انا، كم انت جذاب! . . . لكن غاي ما تزال صغيرة ومثيرة ويجب معاملتها باهتمام وحذر.

هذه الكلمات الاخيرة قالتها بصوت مرتفع وواضح، وتبعت غاي حتى وصلت الى غرفتها. اغلقت الباب وراءها وراحت تبكي.

٦ـ احمر الشفاه

في الغد، اعطت السيدة لنسداون الفتاة عملاً يشغلها طيلة النهار. وظهرا، جاءت ماري حاملة الغداء الى غرفة الفتاة. لكن في المساء، اصرّ تشارلز ان تتناول الفتاة العشاء معهما. وفضلت فاليري الاستسلام لهذا الامر. لكن غاي لم تجد في البقاء اي متعة، اذ كانت تشعر باستمرار ان صاحبة البيت تعتبر وجودها تطفلا وقحا.

امضت غاي فترة صباح اليوم التالي في المكتبة، بينما ذهب تشارلز وفاليري في نزهة على ظهور الخيل. وبطلب من عالم الاثريات ذهبت معهما في فترة بعد الظهر لزيارة القرية المجاورة. وبينما كانا بانتظار فاليري التي كانت تزور رجلا مختصا بتنظيف الاواني الفضية، حاول

تشارلز بدء الحديث مع غاي الجالسة كالعادة في المقعد الخلفي في السيارة. كانت بعيدة، لا مبالية وتعطي احساسا بانها مرهقة من شدة التعب.

قال بحدة:

- انت حمقاء تسجنين نفسك داخل المنزل طوال النهار. لا يحق لفاليري ان ترهقك بالعمل! واضافة الى ذلك، انت لا تقبضين معاشا حيال ما تقومين به، على ما يبدو!

اجابت بصوت هادىء:

- لكن اقامتي وطعامي وراحتي كلها مؤمنة.

- انت تتصرفين مثل سكرتيرة حقيقية. وتبدعين بعملك... وهذا اعتراف فاليري بالذات.

- انا مسرورة لانني علمت بهذا الامر. العمل عند السيدة لنسداون تمرين جيد، وانا بحاجة لذلك بعد اشهر طويلة من البطالة. هذا سيساعدني عندما اعود الى لندن.

- غاي!...

التفت نحوها ورمقها بنظرة متوسلة. ثم مدّ ذراعه ولمس ركبتها وقال:

- ... حاولي ان تتحملي هذا الامر بعض الوقت. لكن، اذا وجدت انك تحبين الاستمرار في العمل لدى فاليري، فسأجد لك شيئا آخر. سأجد لك عملا، و...

توقف فجأة فراحت غاي تنظر اليه بوداعة. هل يتذكر الآن ذلك الصباح في غرفة الفندق عندما لامته فاليري لانه سمح لها ان تنام هناك؟ وقال حينذاك انه اذا كان البك يبحث لغاي عن عريس ليزيل الشبهات عنها، فسيكون هو الزوج المناسب... هل ما زال مستعدا

اذا اصبح الامر ضروريا ان يضحي بحياته وحريته من اجل تأمين مستقبل الفتاة؟

كانت غاي بحاجة لشجاعة لتتمكن من ان تقول له انها لا تقبل بمثل هذه التضحية، مهما كان الوضع. لا تريد ان تؤثر على حرية تشارلز، ومستقبله ومشاريعه... ستجد حلا وحدها!

- غاي، ارجوك ليس امامنا متسع من الوقت، واصر ان اقول لك شيئا مهما، شيئاً يجب الا تنسيه!

لكن بينما كانت يده الناعمة السمراء تمتد من جديد نحوها، ظهرت فاليري لنسداون متألقة كأنها لم تقطع سوقا طويلا قذرا. فهمت الكاتبة في الحال انها قاطعت بوصولها المباشر حديثا حميما. لكنها جلست قرب السائق وقالت للفتاة:

- اذا كان الامر لا يزعجك، سنضطر الى العمل في المساء، يا غاي. بعد العشاء موعدنا في المكتبة وباستطاعتنا ان نعمل حتى ساعة متأخرة اذا كنت قادرة على السهر...

شعرت الكاتبة بنظرات تشارلز المفاجئة، فابتسمت له وقالت:

- اشعر برغبة في العمل على هذا الكتاب. وغاي تعرف ذلك وتفهم جيدا ما أعنيه. ساعدتني اكثر مما توقعت. لا يجب ان تتدخل في هذا الامر، يا تشارلز، ولا تحاول الدفاع عن قضية ليست بحاجة لأحد ان يدافع عنها. يوما ما سأرد لغاي ما فعلته من اجلي!

هذا الوعد وهذا المديح لم يؤثرا بالفتاة اي تأثير. غير ان العمل حتى ساعة متأخرة من الليل امر لا يزعجها بتاتا. تفضل ان تطبع على الآلة الكاتبة على البقاء وحيدة في غرفتها وبرفقة الافكار

الحزينة .

تناولت غاي العشاء معها، ثم انسحبت الى غرفتها لتدعهما يحتسيان القهوة وجها لوجه .

طلبت منها فاليري ان تلاقيها في المكتبة بعد نصف ساعة . وحتى ذلك الموعد، راحت غاي تسرح شعرها، ثم طلت اظافرها وارتدت فستانا قطنيا بسيطا وفوقه سترة تقيها البرد .

لما وصلت قرب غرفة المكتبة، سمعت اصواتا داخلها؛ فصوت تشارلز كان همسا خفيفا، اما صوت فاليري فكان مرتفعا وواضحا كالعاصفة .

راح قلبها ينبض بسرعة وهي تطرق الباب . كانت فاليري تقول:

ـ لاتكن أحمق، يا عزيزي . . ادخل!

وبينما كانت غاي تفتح الباب سمعت فاليري تتكلم مع تشارلز بلهجة عاتبة وتقول:

ـ كيف بامكانك ان تكون ساذجاً الى هذه الدرجة، يا عزيزي؟ هذه الفتاة ليست حمقاء فهي تعرف جيداً ما بيننا!

وابتعدت ذراعي فاليري عن عنق تشارلز ببطء، بينما كانت غاي تأمل ان ترى الارض تنشق وتبتلعها. ظلت واقفة على العتبة، مذعورة من الالم.

حيتها فاليري قائلة:

ـ ماذا! يا له من وضع محرج! هل انت مذعورة، يا غاي؟ الم تشاهدي امرأة بين ذراعي رجل من قبل؟

ثم نظرت الى تشارلز بعدما أخرجت منديلا من جيبها.

ـ آه، يا الهي! علامات حمرة الشفاه على فمك، هذا يكفي لفضح امرك، يا حبيبي!

شعرت غاي بموجة غثيان تحتلها. لكنها تمكنت من الوصول الى المكتب بدون ان تنظر الى تشارلز الصامت .

وبينما كانت تستعد للجلوس امام الآلة الكاتبة، سمعته يغادر الغرفة .

وضعت فاليري يدا رؤوفة على كتف الفتاة، وسألتها:

ـ هل منظرنا صدمك؟ كنت اخشى هذا الامر، لانني رأيتك على استعداد للوقوع في غرامه، اليس كذلك؟ وذلك بالرغم من التحذيرات المتواصلة، لكن اتمنى ان يكون درسا لك. في المرة القادمة، اختاري رجلاً من جيلك! هل تعتقدين حقا ان تشارلز سيقع في غرام وجهك النحيل الشاحب وشعرك المصفّر؟ في كل حال، ارجو ان تكوني قد اقتنعت الآن! هيا نبدأ العمل، من فضلك!

جلست فاليري لنسداون على حافة الطاولة وراحت تملي المعلومات على الفتاة لمدة ساعة تقريبا. ولما غادرت بقي للفتاة قرابة ساعتين لتنتهي من العمل. اخيرا لما راحت غاي تستعد للذهاب الى النوم، كان بخيالها ذلك الجمال الصحراوي، والموعد في الواحة والخيم الهابطة في الليل والحمالين. . . اشجار نخيل، تلال الرمل، عواصف رملية، قلة المياه. . . اعلن قائد القرية يوما ان وباء الجدري بدأ في الظهور، لكن لا احد تنبه للاحتياطات اللازمة.

وكذلك فاليري لنسداون بالذات. في حقائبها اللقاح ضد الجدري وكل اعضاء فرقتها تناولوه الآن اومن زمان. كانت هناك امرأة واحدة غيرها تشترك في هذه الرحلة الاستكشافية. كانت بربرية تدعى «عيشاء» اخذها المطاف الى المغرب مع رجل بدوي رحل.

لكن برغم الحر والغبار والعطش والجوع والروائح النتنة

والذئاب، كانت السيدة فاليري لنسداون تتمتع بكامل حيويتها، كما في اليوم الاول. كانت ترتدي سروال الخيل والاحذية السوداء العالية النظيفة والملمعة! لا تستسلم للخوف، ولا شك ابدا في نجاح المهمة التي هي في صدد انجازها. . . كانت دائما انيقة وعذبة رغم الطقس الحار كاللهب. وغاي التي كانت تطبع هذه الذكريات، لم تشك بصحة هذا الكلام ولا في اية لحظة. انه سرد للوقائع البسيطة من وجهة نظر الكاتبة!

وبعدما اجتازت قاعة الاستقبال لتتوجه الى غرفتها، كانت غاي مليئة بما قرأته ودونته على الورق وتهيأ لها انها عاشت بنفسها هذه التجارب المرهقة!

تحت الشرفة شخصان ممددان على كرسيين مريحين يدخنان السكائر. احدهما نهض لملاقاة الفتاة. انه تشارلز فيلبيه.

- غاي! لقد عملت كثيرا! تعالي خذي القهوة. . .

اجابت من دون ان تتوقف عن السير.

- كلا، شكرا.

من بعيد تدخلت فاليري قائلة:

- تشارلز لقد قلت لك مسبقا انك ستتلقى رفضا جافا.

وفي صباح اليوم التالي، عملت غاي من دون توقف. كانت تنغمس في العمل لئلا تفكر باي شيء آخر. فكانت اذناها ترددان طرقات الآلة، جاهلة تمام الجهل حركات ومواقف الآخرين من حولها.

وفي هذه الاثناء ومن دون معرفتها، كان تشارلز يذرع الشرفة ذهابا وايابا، وهو يلوم فاليري باستغلال طاقة هذه الفتاة المطيعة، والكاتبة الممددة في جلسة استرخاء كانت تجيب باحتجاج

ووقاحة. . . فجأة انفتح باب الساحة الداخلية ودخلت سيارتان. فانتفضت فاليري واقفة تطلق صرخة ارتياح.

- أخيراً! تشارلز! انت ممل لدرجة انني اشعر بسعادة كبرى لرؤية المدعوين الجدد!

ومن دون ان تنتظر جوابه، هبطت السلالم راكضة. فخرج من سيارة فاليري رجل نحيل، ذو شعر اشقر واناقة كاملة ومدّ لها يده.

- رولان! كم انا مسرورة لرؤيتك! انا فرحة لأن الرحلة لم ترهقك. تبدو على احسن ما يرام!

- تعرفين تماما انني لا اشاطر حماستك للاسفار الصعبة ولا حتى لكل ما هو غير حضاري! غير انني جئت.

قالت بابتسامة مشعة:

- تلبي دعوتي!

- الهي امرا مكتوبا بخط يدك تلته برقيتان. نعم! هل هناك مدعوون كثيرون؟

- لا، يا عزيزي، انه اجتماع بسيط بين شخصين او ثلاثة اشخاص. تشارلز هو صديق قديم.

مدّ تشارلز يده بتردد وقال:

- لا اعتقد اننا التقينا من قبل.

اجاب رولان ايف بلا مبالاة:

- لم يحصل لي الشرف. انا مربوط بعملي في الاماكن الاكثر تصنعا في العالم. وحسب الظواهر اعتقد انك مثل فاليري، تعشق المسافات الشاسعة.

شرحت السيدة لنسداون قائلة:

ـ رولان مختص بالزينة النسائية. يدير سلسلة محلات للموضة في لندن وباريس.

وبابتسامة ساحرة اكملت النزول وتوجهت الى السيارة الثانية الواقفة وراء الاولى. لم تكن بحاجة الى الالتفات لترى وجه تشارلز كيف اصبح قاتما ومهددا مثل السماء الملبدة بالغيوم التي تنذر بقروب العاصفة. لكن المدعو الجديد كان منهمكا في اخراج حقيبته من السيارة ولم يكن يبالي للعداوة التي تستقبله.

التفت الى فاليري، ثم انحنى وقبل يدها وقال:

ـ سيدتي العزيزة، انا مسرور جدا لرؤيتك من جديد... عمي يرسل اليك تحياته الصادقة.

خرجت غاي من غرفة المكتبة بينما كان تشارلز يصافح كريم عبدول انوك بالرغم منه.

ـ كنت اتوقع ان اجدك هنا، يا سيد فيليبه.

ظلّ عالم الاثريات صامتاً. فطلبت فاليري من ماري ان تجلب الكؤوس للمدعوين، ثم اضافت تقول:

ـ لا تعير انتباها لتشارلز، يا كريم. عندما يتكفل بعمل ما، يصرّ على الاهتمام به حتى النهاية، مهما كلفه الامر. لكن انت وانا، يا كريم، نعرف جيدا ان بعض المواقف بحاجة الى لطف ورقة!

في هذا الوقت، تقدمت غاي من المجموعة. واول من شاهدها كان رولان ايف.

ـ اذن، يا آنسة نيكولسون! انت تتذكرينني، أليس كذلك؟

نظرت اليه الفتاة محدقة. آه نعم! انها تتذكره تماما. لا تعرفه جيدا، لكنها غالبا ما كانت تراه. مديرة محل بوند ستريت حيث كانت غاي تعمل كانت ترتعب كلما اعلن عن وصوله... وغاي

نفسها تناولت العشاء معه عشية سفرها الى اسطمبول!

الموظفات الصغيرات الشقراوات، لا يسترعين انتباهه عادة، لكنه لاحظ غاي وطلب منها القيام بمهمة له. ولا شك انه اختارها لكونها سكرتيرة موهوبة ولها مشية وهندام ولياقة تجعلها اجمل فتاة عصرية... فضلا عن اتقانها لغات عديدة. والدها معلم اللغات، كان مسؤولا عن تربيتها وتعليمها منذ الصغر.

تذكرت غاي في تلك اللحظة تفاصيل دقيقة. لقد كلفت بايصال حقيبة تحتوي على فستان وتسليمها الى السيدة آنوك، في فندق في اسطنبول. وبعد ايام قليلة وعدها السيد بانه سيلحق بها ليعطيها بطاقة العودة. هكذا يكون امامها مجال قضاء عطلة صغيرة في فندق فخم، وفي الوقت نفسه تكون قد ادت خدمة مهمة لمؤسستها. آه، انها تتذكر تماما. كانت سعيدة امام امكانية السفر هذه! وتذكرت ايضا انها كانت تعتبر حينذاك رولان ايف رجلا غليظا. اما الآن فلم تكن تشعر نحوه الا باللامبالاة... انها غاي مختلفة، جديدة تقف امامه.

قالت له بلهجة سريعة:

ـ نعم، انني اتذكرك.

ثم التفتت في الحال نحو كريم الذي ابتسم لها ورأت في نظراته حنانا وتوسلا. ثم قال:

ـ لا تكرهيني! كنا سأكلم عمي من دون اللجوء الى تهديدي بالقوة. اذا جئت الى هنا، ذلك لان السيدة لنسداون سهّلت لي كل الامور للمجيء. لقد اثرت عليّ كثيرا... لنكن اصدقاء.

وتشارلز الذي يريد طرده! كم تلومه الآن على ذلك! ليهتم اذن بالسيدة لنسداون وبنفسه! لم تعد تريده ان يساعدها، بعد سهرة

امس، وذراعاه تلفان حول عنقها واثار حرة الشفاه على فمه. تشعر بغثيان كلما فكرت به.

قطّب كريم حاجبيه وقال:

ـ انت لا تتمتعين بصحة جيدة كما كنت عليه عندما رأيتك في منزل عمي. كان من المفروض بهواء الجبل ان يزهر خديك بدلا من هذا الشحوب الغريب!

تدخلت فاليري قائلة:

ـ اني اتكل عليك لتكون طبيبها، يا عزيزي كريم! خذها الى الهواء الطلق، ستشعر بتحسن كبير. فهي تعمل كثيرا واكثر من اللزوم!

سأل كريم الفتاة:

ـ ما رأيك بالامر؟

وجهت الفتاة نظرة سريعة باتجاه تشارلز ثم نزلت السلالم وقالت:

ـ انا بحاجة للمشي بعد جلوس عدة ساعات متواصلة هذا اليوم.

ولما ابتعدا عن مرأى الآخرين، التفت الرجل نحوها وقال بلطف:

ـ عندما رأيتني للمرة الاولى، تهيأ لك انني رجل غليظ. وانا لم اتعود على ذلك، لان الناس عموما يجدونني انسانا لطيفاً! صدقيني، تصرفك افادني جدا...

ولما ظلت صامتة، امسك ذراعها وقال:

ـ ... اخبريني همومك ومشاكلك، يا ابنتي الصغيرة هل بسبب هذا الرجل الانكليزي؟ كان بامكاني ان احذرك من انه ليس حرا. انه

ملك فاليري ولن تدعه يذهب ابدا... واذا وقفت بطريقها، فستبعدك... هكذا.

قال آخر كلمة وهو يفرقع بأصابعه.

٧ـ الحقيقة لا تصدق

في هذا المساء، كان العشاء مختلفا عن العادة. في الامسيات الماضية كان الجو متقلصا او بالاحرى حتى مغادرتها غرفة الطعام تاركة السيدة لنسداون وتشارلز يسترخيان ويتألقان حبا. لكن بوصول المدعوين الجدد تغير الامر كليا. وبمساعدة مصطفى، اعدت ماري الوجبات العديدة اللذيذة والشهية. ومصطفى كان يخدم على الطاولة بسترته البيضاء وسرواله المقلم، وباسلوب مميز كأي مدير فندق غربي.

أما صاحبة المنزل، فكانت تشع جمالا بثوبها الازرق المصنوع من قماش الحرير المطرز. اما غاي فارتدت مرة اخرى ثوبها الأسود الساتاني. ولم ترفع نظرها طيلة العشاء، غير انها التقت نظرات كريم

المحدقة بها عدة مرات. اما بالنسبة الى تشارلز، فحاولت كل جهدها ان تتجاهل وجوده كليا.

بعد العشاء، تأبط كريم ذراع غاي واخذها الى الخارج، تحت الشرفة، بينما جلس الآخرون حول المدفأة. لو كانت غاي في وضع اعتيادي لرفضت وقاحة هذا الرجل الشاب. لكنها لم تكن تتمتع بمزاج عدائي. لو تحدث تشارلز اليها خلال العشاء لردت عليه بلطف وتهذيب. لكن ذلك لم يحصل، لان عالم الاثريات ظل صامتا وقاتم الوجه طيلة العشاء.

وبالرغم من حادثة امس، ظلت تكن لتشارلز احتراما كبيرا. الم تكن تعلم ان السيدة فاليري لنسداون تملك سلطة اكيدة عليه، لكن ان ترى رجلا سبق وعانقها منذ فترة وجيزة، بين احضان امرأة اخرى فانه امر لا يصدق!... الامرأة لا يمكن ان تصبح صديقة لها!... هذه التجربة دمرتها. وشعرت كأنها واجهت تجربة هزة ارضية وما زالت مصدومة بها. ومنذ ذلك الوقت اصبحت غير قادرة ان تتصرف بشكل طبيعي في وجود تشارلز.

اما كريم فلم يصدمها ابدا، ذلك لانه بعد الذي حصل، لا شيء بعد الآن يمكنه ان يصدمها. صحيح ان عالمها تدمّر وهذا الامر لا يفاجئها، لكنها تتساءل بذعر كيف ستتمكن من ان تعيش حياتها من جديد.

صعد كريم وغاي الى الشرفة من دون ان يكترثا لاحد. لكن تشارلز ظل يتبعهما بنظراته التي ادهشت فاليري. فانحنت صوبه وطلبت منه ان يشعل سيكارتها ثم اضافت بلهجة عاتبة:

ـ دعك منهما، يا تشارلز. الا تفهم ابدا ان بعض المواقف تتطلب منك تجاهلا؟ وكريم ليس امرا شنيعا لصديقتنا الصغيرة!

رمقها تشارلز بنظرة احتقار وقال بصوت جاف:

ـ اعتقد انني سأنصرف الى غرفتي...

ثم نظر الى رولان ايف واضاف:

ـ ... سأتركك برفقة رولان ايف الممتعة. انتما صديقان قديمان ولا شك ان لديكما اشياء كثيرة تحبان قولها لبعضكما! ارجو معذرتي.

توجه تشارلز الى غرفته وراحت فاليري تحدق بطرف سيكارتها المشتعل. لكن السيد ايف قطع الصمت وقال:

ـ لا اعرف منذ متى تعرفين السيد فيليبه واستغرب كيف لم نلتق قبل الآن، لكن الظاهر انه يعاني مشكلة ما حاليا! ماذا حدث له؟ هل يجد صداقتنا مشبوهة، حسب رأيك؟

ـ لا اعرف. لا، لا اعتقد.

لم تكن المرأة هي ايضا بحالة جيدة. نظر اليها رولان متسائلا وقال بهدوء:

ـ اذن لا شك ان السبب هو هذه الفتاة... عزيزتنا الصغيرة نيكولسون! انها جميلة وقادرة على اغراء معظم الرجال، على ما اظن. انا متأسف لحادث الطائرة، لكنني اجدها الآن واثقة من نفسها اكثر. وبامكاننا ان نستعملها بعد عدة مرّات!

ـ لن اسمح لك ان تستعمل غاي من جديد! مستقبلها متعلق في الوقت الحاضر بالرجل الذي معها الآن!

ـ ماذا؟ ابن اخ اروهان بك؟ لكنه تركي، اليس كذلك؟ صحيح ان الاتراك تخلوا عن سجن نسائهم في المنزل، لكن هل تعتقدين انها ترغب حقا في هذا الزواج؟ لم تعبّر فعلا عن فرح كبير لرؤيته، اليوم؟

اجابت فاليري بهدوء:

ـ تصرفها اليوم تجاهه من افضل ما يكون. انهما يتنزهان معا في هذا الوقت بالذات، وهذه اشارة حسنة. خاصة بعد ما اصيبت بخيبة امل كبيرة!

ـ آه!...

رفع حاجبيه وابتسم ثم قال:

ـ ... فيليبه؟ او من الافضل ان اقول، انت وفيليبه؟ انت ناعمة ولطيفة جدا معه، يا عزيزتي فاليري، وهذا غريب عليك، اليس كذلك؟

اجابت ببرود:

ـ لا انوي ان اناقش القضايا التي تخصك او تخص تشارلز. حياتي الخاصة لا تتعلق الا بي وافعل ما اريده!

ـ طبعا، طبعا! لكنني لم آت الى هنا لاناقش قضاياك، كما تقولين، لكن لاناقش قضية اخرى، تلك التي ادت الى فشل القضية التي كادت ان تضعنا في موقف سيىء جدا، لو لم يحصل حادث الطائرة المفجع.

ـ انت على حق.

ـ هل انت متأكدة كليا ان هذه الفتاة هي الناجية الوحيدة؟

ـ لو ذهبت مثلي الى مكان الحادث، لفهمت انه من المستحيل ان ينجو انسان من هذا الحادث!

ـ وفقدت كل شيء؟ الم يسترجعوا لها شيئا؟

ـ لا شيء.

ـ هل انت متأكدة من ذلك؟

ـ متأكدة تماما، بعدان حققت بالامر عشرات المرات. وقعت الطائرة في البحر بعد أن اشتعلت. وأعجوبة ان يقع جسم غاي على

الساحل.

ـ هل تتذكر كل شيء الآن؟

ـ نعم.

ـ في كل حال، لم تكن تعرف الشيء الكثير. ومن الاسف ان تكون قد استرجعت ذاكرتها بهذه السرعة. هل ساعدتها بطريقة غير ارادية بعد ان طرحت عليها الاسئلة اللازمة، اليس كذلك؟

ـ نعم. هذا ما فعلته فعلا!

قال ايف بغضب بارد:

ـ هذه القصة باجملها مملة، وكلفتنا اموالا باهظة. لكن لا فائدة للندم ومن الافضل ان ننسى ذلك، لكن لا يمكننا ان ننسى الفتاة! ان تتزوج في هذا البلد، ربما ليست عملية سيئة لكنني افضل ان اعيدها الى انكلترا معي، حتى استطيع مراقبتها عن كثب. اذا لم تتأكد من انها ستتزوج انوك بعد ايام قليلة، يجب ان تخبريتها بانني اقترح عليها ان تعود معي الى لندن. ليس لدينا اي اختيار اخر.

اطفأت فاليري سيكارتها ثم تناولت واحدة اخرى. وقالت بصوت منخفض:

ـ بلى، هناك حل آخر. هذه الفتاة ليست حقا مطيعة، لكن احيانا لمجرد رؤيتها افقد هدوئي واعصابي!

ـ آه لغيرة النساء! هل تلاحظين ذلك، يا فاليري؟ اكتشاف الغيرة بعمرك؟

ـ لا يمكننا ان نتجاهل بسرعة هذا الحل الثالث. حتى في انكلترا، لا يمكنك ان تراقبها باستمرار.

ـ صحيح، معك حق...

شرد بافكاره، ثم قال:

ـ ... على فكرة، الكلاب والفهود والاسود، لم اعد اتذكر أنواعها وعددها، هل اقفاصها محكمة الاقفال؟ سأشعر بذعر ان التقيت باحدها بعد هبوط الليل، خلال نزهة ما!...

ابتسمت فاليري لنسداون وقالت:

ـ هذا محتمل جدا. لكن بامكانك ان تلتقي بالكلاب!

ـ آه، الكلاب. هذه اذن قضيتي.

كانت غاي واقفة امام نافذة غرفتها تراقب السماء. الليل مظلم في الخارج، ولا نجوم في السماء. الوقت لم يحن بعد لطلوع القمر.

ولما اجتازت الصالون منذ قليل، لاحظت غياب تشارلز. لم تتعود عدم رؤيته قرب فاليري المبتسمة والمتألقة باستمرار. هذا المساء، كان رولان ايف برفقتها، لكن ظاهريا، رولان لم يعوض عن غياب عالم الاثريات. تمنت لغاي ليلة سعيدة بطريقة محببة ولطيفة، خلافا عن العادة، ثم نادتها قائلة:

ـ لن نهتم بالكتاب خلال بضعة ايام. لقد عملت كثيرا وتستحقين ان ترتاحي قليلا. بامكانك القيام بنزهات في الجوار برفقة كريم الذي يملك سيارة خاصة. اذن اتفقنا، كل شيء على ما يرام!

في الواقع سألها كريم اذا كان بوسعه ان يصطحبها في نزهة في اليوم التالي، لكن لم يكن هدفه ان يريها المنظر الجميل.

قال:

ـ اريد ان اراك وحدك. آه! لا تتخلي عن ثقتك بي! صحيح انني اجتزت هذه المسافة الشاسعة فقط من اجل ان اكون قربك، ورغبتي الوحيدة هي ان احتفظ بك الى جانبي. لكن لدي سبب خاص من اجله اريد اصطحابك بعيداً عن هذا المنزل. لذلك يجب ان احدثك بهذا الامر... غاي، لقد تصرفت بسوء تجاه البك، لكنه

سيسامحك. سيعتبرك دائما ابنة زوجته المفضلة، ولهذا السبب تحتلين في قلبه مكانا فريدا. كنت مهملة بفرارك من منزله على هذا الشكل. لو عرفت انك ستتصرفين على هذا النحو يوم وصولي، لكنت ذهبت معك لتوي وتحدثت مع عمي. وهكذا كنت تجنبت الوقوع في ايديهم.

ـ ماذا تعني بهذا الكلام؟...

خلال لحظة كادت ستدافع غريزيا عن تشارلز فيليبه. لكنها فهمت بسرعة أنه لم يكن يقصد عالم الاثريات. سألته:

ـ ... هل تعرف السيدة لنسداون جيدا؟

القى نظرة سريعة نحو النوافذ المضيئة وقال:

ـ اعرفها بما فيه الكفاية!.. اعرف هذه المنطقة جيدا. غالبا ما كنت آتي الى هنا للصيد برفقة عمي، وذلك منذ عدة سنوات. وفي هذه المرحلة كنت اقوم ببعض النشاطات التي لا شك توافقينني عليها... لكن لن نتكلم عن هذه الامور في الوقت الحاضر. احب ان انتزه معك صباح الغد، بعد الفطور. هل هذا يوافقك؟

ترددت الفتاة. لم تعد تخاف منه وقررت قبول دعوته. فهي بحاجة ماسة لان تبتعد عن هذا المنزل الموحش فتشعر بالحرية خارج هذه الاسوار المظلمة. اجابت اخيرا:

ـ نعم. اتفقنا!

صوت غريب مزّق صمت الليل فسأل كريم مندهشا:

ـ ما هذا؟

ـ تملك السيدة لنسداون اسدين متوحشين.

ـ رفيقان رائعان للمرأة! من الصعب اعتبار السيدة لنسداون انسانا انثويا حقا! في الظاهر شكلها جذاب وتعرف كيف تستغله لتظهر

الاشياء الحسنة فيه، لكن عدا ذلك...

توقف قليلا ثم أضاف فجأة:

ـ اذهبي الى فراشك الآن. كما سبق وقلت لك، اقامتك في الجبل، او بالاحرى في منزل فاليري لنسداون، لا يبدو انها ناجحة. انت بحاجة الى النوم والراحة. غداً، بعيدا عن هنا، لدّي امور كثيرة اريد قولها لك.

وفي صباح اليوم التالي، لم تجد غاي صعوبة في التواري عن الانظار. رولان ايف لم يكن قد استيقظ بعد واخبرتها ماري ان معلمتها ترتاح في غرفتها. اما السيد تشارلز فقد اختفى.

كان كريم ينتظرها في سيارته الحمراء. وما ان صعدت قربه حتى اقلعت السيارة السريعة واخذت تجتاز المنعطفات بسهولة كبيرة. كانت الشمس حارة بالرغم من الارتفاع، والنسيم العليل كان يداعب وجه غاي من خلال النافذة المفتوحة. لاول مرة منذ ايام عديدة، بامكانها الاسترخاء. رآها كريم تستريح في مقعدها كأنها تشعر بالتعب، فسألها:

ـ لم تنامي جيدا، اليس كذلك؟ لماذا؟ هل بسبب توترك او انزعاجك، ام لسبب آخر؟

ـ لا اعرف عما تتكلم. هل هناك من سبب لاشعر بالانزعاج؟

ـ سنتحدث عن هذا الامر في الوقت المناسب. وبانتظار ذلك دعيني اردد عليك تحذيراتي التي الححت بها في الامس. تشارلز فيليبه ليس الرجل المناسب لك! الجميع يعرفون في اسطمبول ان فاليري تنوي الزواج منه. وفي كل حال ليس الرجل الذي يناسبك. انه انسان متشرد مثل البدو الرحل. فقط المرأة التي تشاركه افكاره بامكانها ان تعيش معه. انت يا عزيزتي، لا تقدرين ان تتحملي التشرد في اقطار

العالم، وان تغيّري باستمرار البلدان العديدة والمناخ المتقلب، ولن تشعري معه بالاستقرار في اي مكان ما! ستكونين حاجزا لكل تحركاته! لا يا غاي! انت آخر انسانة يمكن ان يختارها زوجة له، بالرغم من انجذابك الكبير اليه!... لا احاول هنا ان اجرح شعورك، بل اقول لك الحقيقة وحسب.

أجابته بهدوء:

- ما كان يجب ان تجهد نفسك بهذا الكلام. انا لا انوي الزواج من السيد فيليبه.
- هل انت متأكدة من ذلك؟

اجابت بحزم:

- كل التأكيد.
- في هذه الحال، بامكاني ان آمل...

لاول مرة يبتسم بطريقة خبيثة.

السيارة تسير بسرعة بين مضيق الجبال المتعرجة، ثم تصعد عاليا الى السهول السمراء. فوقها الثلج الابدي يغطي جبال طوروس، والهواء كان جافا ومنعشا.

اخيرا اجتازت السيارة قرية صغيرة مغبّرة، فرأت غاي قطيعا من الماعز يعبر الطريق امامها. ثم صعدت السيارة حتى وصلت الى ممر جبلين يشرفان على المضيق الموحش. وهنا اوقف كريم محرّك السيارة.

الصمت يعم هذه الاماكن كالسحر! وبعد فترة طويلة تكلم الرجل قائلا:

- ماذا تعرفين عن السيدة لنسداون؟
- لا شيء... ما اعرفه هو انها امرأة ثرية، تحب الاسفار

والاستكشاف وتؤلف كتب الرحلات.

- هل تعتقدين انها تربح اموالا طائلة من مبيعات هذه الكتب؟
- لا اعرف.
- هل تعرفين ان زوجها اعلن افلاسه قبل موته بسنوات عديدة؟

نظرت اليه بدهشة وقالت:

- لكن هذا مستحيل! خلال مجيئها الى هنا، شرحت لنا فاليري، لي وللسيد فيليبه، أنها ورثت من زوجها ثروة ضخمة! كما صرّحت لنا انها تزوجته لاسباب مادية... واضافت تقول ان زواجها الثاني سيتم لاسباب مرضية وسارة...

اشعل كريم سيكارة وراح يتأمل الفتاة من خلال غيمة الدخان الازرق ويقول بوضوح:

- لم يترك لها زوجها مليما واحدا. ولاي سبب تزوجته، لا اعرف. لكن ما اعرفه هو انها تريد ان يحل تشارلز فيليبه مكانه. لا أعرف اذا كان تشارلز سيقبل عرضها، لكن فاليري تعرف نقاط ضعفه... ومدخوله المحدود!...

قاطعته غاي قائلة:

- ليس تشارلز فقيرا!

لم يكن عندها اي دليل حول ذلك. في الواقع تعرف اشياء قليلة عنه.

- هذا ممكن، لكنه بحاجة الى اموال طائلة ليقوم برحلاته الاستكشافية. لا يبقى ابدا اكثر من اشهر معدودة في مكان واحد. كما يجب ان يمول اسفاره بنفسه. او احيانا بمساعدة شركاء يهتمون مثله بالاشياء نفسها. والسيدة لنسداون هي في هذا الوضع بالذات. تتبعه منذ سنوات، ولا شك انها اشتركت بمصاريف اكثر من رحلة

واحدة.

ـ السيد فيليبه لا يهمني أمره. ماذا اردت ان تقول لي فيما يختص بفاليري لنسداون؟ لماذا قمنا بهذه الرحلة كلها؟ كي لا يسمع احد كلامك، صحيحا كان ام خطأ!...

بدأت تتساءل لماذا قبلت مرافقة كريم. وسيستغرب تشارلز تعلقها بهذا الشاب، بعد كل الذي فعله من اجلها.

ـ ... اعرف امورا قليلة عنك، وليس من سبب لاصدق كلامك.

ـ صحيح، لكنك تعرفين عمي. لا احد يمكنه ان يشك بسمعته في اسطمبول! ربما سمعتي انا مشبوهة، لكن عمي رجل محترم وكل اصدقائه يمكنهم ان يشهدوا بذلك. الم تلاحظي ان بين مختلف المدعوين الى حفلاته، لم يكن للسيدة لنسداون اي اثر؟

ـ نعم. هذا ما يلفت نظري.

ـ حسنا... قبل ان اكمل كلامي، اريد ان اوضح لك بعض الوقائع. كل ما قلته بخصوص زواج سيسيل هو حقيقة، لكنني المحت بأنني ربما اكون انا الزوج...

بريق ساخر اجتاح نظره. عيناه كانتا رائعتان. فاستغربت الفتاة هذا الاتحاد الرهيب بين جمال شكله وضعف شخصيته، الذي يجعله يعيش حياة لا توافق عليها ابدا. يا للاسف!...

ـ ... تزوجت سيسيل من احد اصدقائي وانا حضرت بنفسي حفل الزواج. أنا شخصياً كنت رفضت الزواج منها. حتى لو وهبني عمي ذهب العالم!

ـ فهمت وهل ماتت حقا في... حادث الطائرة؟

اجاب بسرعة كي لا يتوقف طويلاً عند هذه الذكرى المؤلمة:

ـ نعم. والسبب الآخر لوجودي هنا هو توكيل من عمي ان اعيدك

معي الى اسطمبول. لست مضطرة للبقاء في منزله. اذا اردت العودة الى لندن، فسيسهل عليك الامور. يأمل ان يؤمن حاجاتك المادية الى ان... الى ان تتزوجي، مثلا، او الى حين تجدين مهنة تعجبك. لكنني لا ارغمك على شيء... تفعلين ما ترتاحين له، يا غاي!

تجهمت عينا الفتاة وقالت بصوت مخنوق:

ـ انك انسان طيب... متفهم وكريم ومتسامح!...

ـ آه! انا من يعتبر مسؤ ولا عن فراقك!... يجب ان اعود الى انكلترا بعد بضعة اسابيع. وسأكون منهمكا جدا في تحضير امتحاناتي، لكن، ربما بامكاننا ان نلتقي احيانا... في مناسبات... طبيعية اكثر؟

كان طلبه مؤثرا فاخفضت غاي عينيها وهمست بصوت غير مسموع:

ـ ربما.

لكن قلبها حزن لفكرة كونها بعيدة عن انكلترا. ومتى عادت الى بلدها، لن يكون للرجال اي مكان في حياتها. عليها ان تكرس نفسها كليا لعمل ايجابي حتى تنسى تشارلز فيليبه كليا.

قال لها كريم وهو يلامس اصابعها:

ـ اشكرك يا غاي. اعرف انك تنظرين اليّ نظرة تافهة، لكن... لو كنت سيسيل، مع ثروة او بدونها، لما كنت قبلت ابدا ان احضر عرسك مع رجل آخر... حتى ولو كان صديقي العزيز!

سألت غاي محاولة تغيير مجرى الحديث:

ـ والسيدة لنسداون؟

ـ نعم! السيدة لنسداون! تأكدي ان ما سأقوله لا برهان فيه. اكتفي ان اقول ما اعتقده حقيقة.

- حسنا... تكلم، ارجوك.
- فاليري وصديقها، رولان ايف، خبيران عالميان في تهريب الالماس الشرطة التابعة لبلدان عديدة تراقبهما منذ سنوات، لكنها لم تنجح في القبض عليهما بالجرم المشهود. لقد استعملاك لتنفيذ احدى مخططاتهما، لكن للاسف، هذه الخطة فشلت. تحطمت طائرتك وخسرا كل شيء. هل تتذكرين حقيبة صغيرة كان يجب ان تحافظي عليها وكان من المفروض ان تسلميها الى شخص ما؟
- نعم... نعم، بكل تأكيد!
- هذا الشخص هو السيدة انوك، زبونة في المحل التي كنت تعملين فيه في لندن.
- بالضبط!... نعم!
- السيدة انوك هي عمتي. لكن لا جدوى ان نتكلم عنها في الوقت الحاضر. في الحقيبة الضائعة في قعر البحر فستانان للسهرة صممهما رولان ايف. لقد خرّم الفستان بحجارة الماس التي تبحث عنها الشرطة منذ سنوات عديدة. لقد سرقت من مجوهرات احدى الاميرات التي خسرت معظم مجوهراتها حينذاك، وافلست شركة التأمين كي تعوض عليها.

تقطعت انفاس غاي وقالت:
- لكن هذا امر لا يصدق!
- اعرف ما تشعرين به. لكن في النهاية، وفي هذه القصة البشعة، كان حظك يفلق الصخر. وبسبب هذا الحادث لم تجدك الشرطة والحقيبة بحوزتك. كذلك اخذك عمي على عاتقه. والا لوقعت التهمة عليك. لقد اختارتك السيدة لنسداون ورولان ايف لأنه لا احد بامكانه ان يشك بانك قادرة على القيام بعملية تهريب غامضة.

وما كان احد شهد على براءتك في حال تعرقلت الامور ضدك!

شحب وجه الفتاة وقالت:
- لكن، الا تعتقد... انت تعرف انني بريئة، اليس كذلك؟
- اعرف ذلك وعمتي تعرف ذلك ايضا. لكن بامكانها ان تفشي باسمك اذا عرفت ان ذلك يساعد على توقيف صديقينا العزيزين. لقد شعرت بخيبة امل لفقدانك الذاكرة وغياب الادلة. لكنها حافظت على الصمت، لانها تأمل ان تتذكري يوما ما بتفصيل مفيد.
- لكن من هي عمتك؟ اذا كانت زبونتها فهي ايضا متآمرة في القضية؟

هز كريم رأسه وقال:
- كلا. انها خبيرة سرية وسبق ان نفذت بعض القضايا بنجاح. وحتى اليوم اشك ان تكون السيدة لنسداون ورولان ايف يعرفان من هي حقا. انها زبونة في المحل الذي كنت تعملين فيه منذ عشر سنوات. كان من المفروض على خادمتها ان تعيد الحجار الى اصحابها بعد استلامها الفستانين.

وجدت غاي صعوبة في تسجيل كل هذه العناصر الجديدة. فجأة مزقتها فكرة اكثر اضطرابا: تشارلز فيلبيه! لا يمكنه ان يكون متآمرا بهذه القضية؟ هذا مستحيل!
- السيد فيلبيه؟... الا تعتقد انه...

ظهرت تجعيدة ساخرة على شفتي كريم واجاب قائلا:
- ولما لا؟ هذا امر منطقي، اليس كذلك؟ يعترف انه يعاشر شخصا من هذه الزمرة منذ عدة سنوات، ولن تقولي لي انه يجهل كليا باي وسيلة جمعت فاليري ثروتها. الحديث الذي أجرته في طريق مجيئك الى هنا كان القصد منه ان يصلك، لانك لا تعرفين ان زوجها قد

افلس قبل وفاته. كما انها مناسبة عظيمة للدفاع عن نفسها.

ـ لكن... كتبها! تبدو حقيقة. اسفارها..

ـ انها امور للتسلية اصبحت ممكنة بسبب نشاطاتها السرية. فضلا عن ان شهرتها تسمح لها بان تمر مرور الكرام، من دون ان يشك بامرها احد.

ـ هذا امر لا يصدق!

لكنها لن تصدق ابدا ان تشارلز مذنب... لا يمكنها ان تصدق ذلك!

قال كريم وهو يدير المحرك:

ـ من الافضل ان نعود، الآن. لكن تذكري هذا يا غاي، لا يجب ان تقولي لاحد ما سمعته ولا حتى ان يظهر بتصرفك. انت تجتازين خطرا كبيرا في الوقت الحاضر ويجب ان نتصرف بدقة وحدة ذهن. ولكي نخرجك من هنا من دون اخطار، علينا ان نستعمل وسيلة كي نقنعهم بوجوب رحيلك. اذا وافقت على التصرف كما اقول لك، كل شيء سيتم على ما يرام... لكن بامكانك ان تثقي بي كليا. هل تعيدينني بذلك؟

ـ الا تعتقد انه... انه يجب ان اخبر تشارلز فيلبيه بالامر؟ لقد ساعدني قدر المستطاع. وقال لي انه اذا اردت العودة الى انكلترا...

ـ لقد جاء بك الى هنا، اليس كذلك؟ لو كان فعلا يريد صالحك، لما فعل ذلك. من الافضل ان تثقي بي انا بدلا من ثقتك برجل يعاشر فاليري لنسداون!

شيئا فشيئا بدأت تعي خطورة الوضع. كانت وحيدة في جبال موحشة، محاطة بدجالين مهربين... وبأسود!... يجب ان تجد وسيلة للفرار من هنا.

لكن تشارلز! افكارها تتجه نحوه باستمرار. فهي على استعداد لان تتعرض للخطر، اذا كان ذلك يبرئ تشارلز من كل شك او سوء نية.

٨ـ خطة للهرب

اول انسان التقته لدى عودتها كان عالم الاثريات. كان جالسا، تحت الشرفة حاملا كأسا بيده. ولاول مرة يرمقها بنظرة باردة وغير ودية.

سألها قائلا:

ـ هل قمت بنزهة ممتعة؟

رمقته الفتاة بنظرة سريعة ثم ازاحت عينيها وقالت:

ـ هذه النزهة ساعدتني على تغيير الجو. في كل حال، وافقت السيدة لنسداون ان اكون حرّة في فترة قبل الظهر.

ـ انت تعرفين تماما انك لست موظفة عندها انت حرّة ان تعملي متى شئت ذلك.

ـ صحيح... انه منزل غريب، وغالبا ما تساءلت اذا كان واحدنا حرا بالفعل.

هل يفهم ماذا تقصد بذلك؟ راح قلب غاي يخفق بسرعة وفي داخلها كانت تصرخ بحزن: آه، تشارلز!... تشارلز! انت لست مهربا دجالا؟ لا يمكنك ان تورط نفسك بهذه القصة المؤسفة؟ هذا غير مستحيل؟

اجابها قائلا:

ـ انا مثلا انسان حر كليا.

رفعت الفتاة عينيها نحوه وقالت:

ـ اتذكر انك قلت لي يوما كم ان الحرية ثمينة... يجب ان احضر نفسي للغداء.

قال بسرعة كبيرة:

ـ غاي! لماذا تشجعين هذا الرجل بلا حذر؟ هل نسيت، انك هربت منه منذ بضعة ايام؟

أجابت بصوت متوتر:

ـ حينذاك كنت غير حذرة. لقد تصرفت مثل تلميذة طائشة ومع ذلك سامحني البك لشدة طيبته. بامكاني ان اعود الى اسطمبول ابتداء من نهار غد وسيكون لدي منزل.

ـ هل صحيح أنك ترغبين بالعودة الى منزل مخصص لغيرك؟ الجميع يعرفون انك لست سيبيل ميتلاند.

ـ الجميع؟... هل تكلمت عني مع السيد ايف مثلا؟

ـ الظاهر انك كنت موظفة لديه في الماضي، اليس كذلك؟

ـ نعم. لكنني كنت اجهل في ذلك الوقت انه كان شريكا للسيدة لنسداون. والغريب في الامر انها هي بالذات وهبتني عونها، اليس

كذلك؟

ـ كلا. سأذكرك اذا نسيت: انا الذي طلبت منها ان تساعدك.

ما قاله حقيقة جعلتها تخفض نظرها. ولمدة لحظات عديدة كانت تلعب باضطراب بطرف قبعتها. لقد تجاوب مع طلبها من دون تردد وكانت شاكرة له جدا. . . الى ان فاجأته في تلك السهرة، في المكتبة، بين احضان فاليري. ماذا يجب ان تصدق؟ بماذا يجب ان تفكر؟

ـ غاي! . . . كنا صديقين عزيزين، انت وانا! كنت تثقين بي الى درجة انك تركتني افكر مكانك عندما كنت غير قادرة على التفكير. كل شيء كان على ما يرام حتى ذلك المساء. لا اريد ان اقدم لك تفسيرات لما جرى، لكن يجب ان تستمري بالثقة بي، الآن اكثر من اي وقت مضى!

تكلم بصوت لجوج وملح، فرفعت نظرها نحوه مندهشة وسألته:

ـ ماذا تعني؟

تأملها بشدة. وجهه النحيل بدا مضطربا وعيناه كانتا مليئتين بالاشارات لم تجرؤ الفتاة على تفهمها.

ـ هل توافقين على الزواج مني، يا غاي، ونرحل من هنا، في الحال!

لم تصدق ما سمعته، فانتفضت وقالت:

ـ الزواج منك؟ . . .

ـ نعم! تزوجيني! كان يجب ان اسألك ذلك منذ زمان، لكن، كما تعرفين، كنت دائما اتحاشى الزواج، لكنني فهمت اخيرا، انه الحل الوحيد لمشكلته . . . لمشكلتي ايضا!

رددت غاي بعد ان شحب وجهها:

ـ مشكلتك انت؟ كنت اجهل ان لديك مشاكل!

ـ اذن، تعرفين ذلك الآن. . . لا تقاوميني، يا غاي، ولنرحل من هنا باسرع ما يمكن! صدقيني، هناك اسباب وجيهة لذلك. انتظرت عودتك طيلة الصباح. مهما يكن شعورك تجاهي، فمن الطبيعي ان تثقي بي كليا وبي وحدي. . . ستتزوج باسرع ما يمكن، حتى استطيع مواصلة الاهتمام بك.

احتل الفتاة الغضب الشديد وقالت:

ـ وهل تتصور انني سأتزوجك واقبل منك هذه التضحية الكبرى لحريتك المقدسة فقط من اجل ان تهتم بي؟

ـ أرجوك، يا غاي! ليس الآن الوقت لتذكريني بكل التفاهات التي قلتها! صدقيني، ليس امامنا الوقت الكثير. يجب ان آخذك بعيدا من هنا. . .

ـ لماذا؟ هل تشاجرت مع السيدة لنسداون؟ لقد كانت صبورة جدا، آملة ان تتزوجها عما قريب. لقد افهمتني منذ البداية انك ملكها وبهمت في ذلك المساء المشؤوم انها لم تكن تبالغ في كلامها!

ارتعب وجه تشارلز ولم يعد هناك اثر للتوسل في عينيه.

ـ لست مرغمة على الزواج مني اذا لم ترغبي ذلك، لكن يجب ان تأتي معي!

ـ لن اتزوجك ولن تأخذني معك! سأستمر في العمل لدى السيدة لنسداون حتى اجد بنفسي حلا للخروج من هنا. . . انا اعتبر طلب الزواج هذا شتيمة كبرى.

ـ حسنا. انها شتيمة لم يسبق ان عرضتها لاي امرأة اخرى. وتأكدي انني لن اكرر هذا الطلب مرة ثانية! لكنني انصحك الا تستسلمي لجاذبية كريم وسحره. . .

- هو على الاقل لا يحاول ان يخبىء اخطاءه وعيوبه . ما كان يجب ان اغادر منزل البك! وعندما افكر بالامر مرّة ثانية، لا افهم لماذا اخترتك انت بالذات، كما اني لا افهم لماذا ساعدتني على الهرب . . . لماذا كنت متأكدا ان صديقتك فاليري ستقبل بتقديم مساعدتها الي! لا شك انك شعرت بالدهشة ان آتي بنفسي وارتمي بين يديك!

لم يتسن لغاي الوقت الكافي لترى اندهاشه الحقيقي، لان الاصوات خلفها جعلتها تلتفت الى الوراء. وصلت فاليري لنسداون يتبعها كريم.

قالت المرأة بفرح:

- آه! ها انتما! قال لي كريم ان النزهة اخذتكما ابعد مما كنتما تتوقعانه. لكن ما ان أصبحتما وحيدين معا، حتى فقدتما التفكير بالوقت! . . .

بنعومتها العادية لاحظت تعبير تشارلز الغريب وشحوب وجهه. وعرفت انه غاضب او متأثر . . او الاثنان معا.

فقالت لغاي:

- . . . اذهبي وجهزي نفسك للغداء، يا ابنتي. غدا، سأسمح لكريم ان يرافقك طيلة النهار!

وخلال الغداء، تصرفت فاليري بلطف مع الجميع. لم يسبق لغاي ان رأتها هكذا. وحالا بعد الغداء، كل واحد انسحب الى غرفته للاستراحة.

لكنها لم تستفد من هذه الوحدة للاسترخاء. عقلها كان يغلي بالافكار المعاكسة، وشعرت بالضياع. اي سلوك ستتخذ؟ من يجب ان تصدق داخل هذا المنزل الحزين؟ فهي مضطرة ان تثق بشخص، لانها، وحدها لن تخرج من هذا المأزق الذي وقعت فيه.

لم تكن غاي تملك سيارة ولا تعرف طريق العودة. كما ليس بوسعها ان تقود وحدها مدة ٢٤ ساعة. وهناك احتمال وارد ان تضيع طريقها. اذن لا داعي لان تفكر في العودة الى اسطمبول مشيا على الاقدام . . . ما زالت غير واثقة بكريم . . .

القصة التي رواها بدت لها غير معقولة . . . لكن ربما تكون حقيقة، مما يفسر امورا كثيرا. لماذا وقع الاختيار عليها بالذات؟ ولماذا اعطيت فساتين، مع انه كان من الاوفر ارسالها بالبريد؟ وبانتظارها غرفة في فندق فاخر، ووعود وآمال كبيرة.

قال لها رولان ايف:

- سنلتقي في اسطمبول حيث ستمضين بضعة ايام رائعة. لقد عملت كثيرا في المدة الاخيرة وتستحقين عطلة. بامكانك ان تبقي اسبوعا او اسبوعين، اذا ما رغبت في ذلك. خذي معك بعض الملابس . . .

كما أعطاها صكاً يغطي مصاريفها لشراء الملابس الجديدة. كم كانت ساذجة! نعم! بامكانه ان يسمح لنفسه ان يقدم لها ذلك، ما دامت تحمل معها الماس الثمين!

وما دور تشارلز في كل هذا؟ . . .

وضعت الفتاة يدها على وجهها. بأي وقاحة اقترح عليها ان يتزوجها! وعن اي مشكلة اراد ان يتحدث؟ ربما كان يأمل ان يكون بعيدا عن مخالب فاليري؟ ربما توصل لتوه الى اكتشاف الحقيقة وشعر بتوتر واضطراب؟

يبقى كريم . كريم الوسيم المعجب بها وابن أخ الرجل الذي بامكانها ان تثق به. من الأفضل ان تجد نفسها في منزله الكبير في اسطمبول، بأمان، ودلال. لقد قال لها كريم ان البك على استعداد

كل كي يساعدها في العودة الى انكلترا.

ومتى عادت الى بلادها، بامكانها ان تبدأ من جديد في الحياة الطبيعية. ومع الوقت، ربما تتوصل الى نسيان تشارلز!

سمعت قرعا على الباب ودخلت فاليري لنسداون. وجهها كان خالياً من اي تعبير، كأنه قناع... فقط عيناها الباردتان العدائيتان تقذفان سهما خطرا على الفتاة. جلست ثم قالت:

- لدي اقتراحان. اسمعيني جيدا واختاري الحل الذي تجدينه اقل ازعاجا. في وضعك الحالي، لا يجب ان تترددي!

في هذا المساء مر العشاء من دون حادث معين، لكن الجو كان اكثر تلبدا من الامس.

لم تقم فاليري لنسداون باي جهد لتجذب الآخرين. وجهها الهادىء حافظ خلال فترة العشاء كلها على لمحته العازمة، دليل قاطع انها اتخذت القرار النهائي. ولهذا السبب كانت للمرة الاولى غير غاضبة وغير حقودة او ثائرة.

كان رولان ايف ينظر اليها من وقت الى آخر بابتسامة فضولة، لكنه لم يحاول ان يغير طريقة تصرفه. كانت ملامحه تعبر عن قلق عميق الا عندما يلفت انتباهه شيء ما. فيصبح في الحال سريعا ومتيقظا كانسان فظ. في هذا المساء راح يمدح الطعام الذي أحضرته ماري ولم ينطق بشيء مثير.

وتشارلز فيلبيه لم يكن ايضا ثرثارا، ولاول مرة لم تحاول فاليري ان تبتسم له او تستأثر بانتباهه. في الواقع كانت تحاول تجنب نظراته.

بعد العشاء عادت غاي الى غرفتها لتزين وجهها. فوجدت بطاقة على منضدة الزينة. عرفت في الحال خط تشارلز. وهذه الرسالة

زادت من غضبها. كان يقول فيها:

- كفي عن التصرف كالاطفال ودعيني اساعدك. ومتى عدنا الى اسطمبول، اعدك الا اراك ابدا، لكن في الوقت الحاضر، اهم شيء تفعلينه هو الابتعاد من هنا. كوني في غرفتك في الساعة العاشرة. ساطرق على زجاجك ويجب ان تدعيني اكلمك حينذاك.

مزقت غاي الرسالة واخفت قطع الورق في حقيبة يدها. وفي العاشرة كانت تحت الشرفة حين طلب منها كريم الخروج. كان الرجل الشاب يعبر عن انزعاج عميق كأنه يخشى امرا ما سيحدث لها. والغريب في الامر ان الفتاة لم تكن تشعر باي خوف. كانت لا مبالية بكل شيء، ولا تهتم ابدا بما يمكن ان يحدث لها.

قال لها كريم باصرار وأمر:

- يجب ان ترددي على مسمعي كل ما قالته لك السيدة لنسداون عندما ذهبت لرؤيتك في غرفتك، منذ قليل.

ومثل تشارلز كان ينظر باستمرار من فوق كتفها كأنه يخشى ان يرى احدا يستمع اليه وتذكرت غاي تماما ما قالته فاليري:

- لا يجب ان اذكرك انك كنت حملا ثقيلا على السيد فيلبيه، وعليّ انا. كنت اكثر من حمل على السيد فيلبيه، ذلك لان الرجال من نوعه يتأثرون بسهولة بالضعف، وروحه الفروسية تدفعه الى نجدة الفتيات اللواتي يجدن أنفسهن في مأزق حرج. هذا امر طبيعي جدا، خاصة اذا كانت الفتاة المعنية بالامر شابة شقراء ذات عينين زرقاوين واسعتين متوسلتين. وفي القرون الوسطى، كان الرجال يذهبون لقتل التنين من اجل فتيات جميلات مثلك. لكن ما ان يقتلوا التنين حتى يتابعون طريقهم الى ان يلتقوا من جديد بأميرة شابة تطلب منهم النجدة وتتحداهم. يريدون ان يبرهنوا عن رجولتهم. لكن في

النهاية هذا النوع من الرجال يتزوج من امرأة لم تطلب منه شيئا!

حينذاك اجابت الفتاة بهدوء:

- ولِمَ لا؟

- شخصيا، لم اطلب شيئا من تشارلز. اعرفه منذ سنين ومهما ذهب بعيدا فانه يعود دائما اليّ. هو وانا نتكلم اللغة نفسها، نتقاسم الطموحات نفسها ونعجب بالامور نفسها. اننا نكمل بعضنا تماما. يعرف انني لن اكبله ابدا ولن اكون دائما حاضرة عندما يشعر بحاجة اليّ. اعرف كيف اكون لامبالية ونزيهة، عندما يكون الامر يتعلق به، واذا كان ذلك من صالحه. ذات يوم سنتزوج، ولا شك ان ذلك سيحدث قريبا. لكن زواجنا سيجعله حرا ان يكمل طريقه من دون عقبات. اما انت، يا غاي، فبضعفك وهشاشتك ورخص عودك، وعينيك المتوسلتين، ومتطلباتك الصماء، ستجعلين منه اتعس انسان في العالم! زوج لا يجرؤ ان يترك زوجته بضعة اشهر، لانها غير قادرة ان تتدبر امورها وحدها! ستجلبان الاولاد وستشعران بضرورة تنظيم منزل وعائلة! وفي النهاية، اما يرحل مسرعا كرجل مخنوق، او يبحث عن زاوية صحراوية حيث يبقى هناك بعيدا عنك، او يفقد كل تذوقه وتنتهي حياته!

وبعدما انهت هذا الكلام وقفت فجأة وتبين ان وجهها شاحب ومعصميها مشدودان. فشعرت غاي كأنها تلقت منها صفعة.

عادت فاليري لتقول:

- هذا ما سيحدث له اذا تركتك تتصرفين على ذوقك، لكن لا اسمح بذلك ابدا! سامنعك من ان تجعلي حياته جحيما ابديا!...

اتسع انفها وارتفع صدرها بعنف وراحت تتنفس بصعوبة. ثم اسندت يدها على ظهر الكرسي وتابعت تقول:

- ... اسمعيني جيدا! لديك خيار بين امكانيتين. اما ان تعودي مع رولان الى انكلترا بعد غد، او ان تتزوجي من كريم انوك. لو كنت مكانك، لاخترت الامكانية الثانية، ذلك لانك غير قادرة أن تعيشي وحيدة في هذه الحياة. انت فتاة حمقاء!

لكن غاي انتفضت وحدقت بالسيدة لنسداون وقالت بهدوء فاجأها:

- لا يمكنك ان تفرضي عليّ شيئا، وانت تعرفين ذلك تماما. لن اتزوج من كريم. أولاً لم يطلب يدي ويجب ان يفكر بمستقبله المهني قبل كل شيء، فالزوجة تعرقل دراسته. في كل حال عليه ان يقدم على الامتحانات...

- الامتحانات لا اهمية لها عندما يكون عمه غنيا مثل أورهان بك!

- انت تعطين اهمية كبرى الى الثروة، أليس كذلك يا سيدة لنسداون؟

تغير وجه فاليري وبدت اكبر من عمرها. عيناها ظهرتا كالدمى وتقلص فكاها وبرزت وجنتاها. ثم امسكت بكتفي غاي وسألت:

- ماذا تعرفين عن اهمية اي شيء انظر اليه؟ ماذا تريدين ان تقولي، ايتها الطفلة المسكينة...! هل انت اقل براءة مما تظهرينه؟ هل تعرفين امورا اكثر مما تبدين! هل...

عضت على شفتيها وقالت:

- ماذا تعرفين بالضبط؟ ماذا يعرف تشارلز فيلبيه؟

اطلقت فاليري صرخة غاضبة وراحت تهز الفتاة الرقيقة بعنف وتقول:

ـ يا ايتها. . . يا ايتها الحيّة السامة! اذن تريدين تهديدي، اليس كذلك؟ تريدين مبارزتي، عرفت دائما انك اقل سذاجة مما تبدينه!. . . قولي، ماذا تعرفين بالضبط؟ ماذا تعتقدين انك تعرفين؟

ـ هل هذا روعك فيما يختص بالحقيبة الضائعة خلال حادث الطائرة؟ قولي، اين خبأت حبات الماس، في الثوبين اللذين كنت سأوصلهما الى السيدة انوك؟ هل طرزت مع بقية الحجارة، ام وضعت في البطانية؟ آه، تذكرت. ربما في السترتين المتناسقتين! لا شك انك وضعتها في حشوة الكتف؟

وخلال لحظات قليلة. ظلت السيدة لنسداون كليا مكانها. تدريجيا، اختفت ملامح غاي المنتصرة، اذ تنبهت انها كانت غير حذرة، لكن فات الاوان. . . وربما وضعت كريم في خطر!

لم تخف الفتاة من عواقب هذا الحديث. . . على الاقل، اكتشفت نقطة مهمة جدا، وهي ان تشارلز ليس على علم بذلك. فخوف فاليري ان يعرف تشارلز بالامر كان اقوى بكثير من أيّ شيء آخر احتواه كلامها. وشعرت غاي بارتياح كبير اذ عرفت ان تشارلز ليس بالرجل الذي تآمر بقضية غير قانونية. ما كان يجب ان تشك به ابدا. انه رجل صادق ومستقيم، كان كل ما تحتويه عيناه الرماديتان. ولم تلمه غاي الا على شيء واحد. وهو كيف استطاع ان يحتل قلبها؟ لو تركها وحدها! لو لم يعانقها!

راحت فاليري تذرع الغرفة ذهابا واياباً، تزيح شيئا من مكانه، وتمسك فرشاة تتأملها بعينين غائبتين ثم تضعها فجأة مكانها. اخيرا التفتت وقالت:

ـ لا اعتقد ان السيد ايف سيقبل باعادتك معه الى انكلترا.

ستتحدث بالامر مرة اخرى.

اطلق كريم صفيرا طويلا عندما انتهت غاي من اخباره كل ما حدث لها مع السيدة لنسداون. ثم اعلن قائلا:

ـ هذا ما يبت المسألة! الوضع لم يعد سهلا، واصبح مليئا بامكانيات كثيرة غير مفرحة. واصبح من الملح ايجاد حل! لا الومك لانك تكلمت مع فاليري على هذا النحو. هذه المرأة لها لسان ثعبان، وانت تحملت منها الكثير. لكنها لم تكن ترى فيك سوى منافستها تجاه الرجل الذي تريده لها! اما الآن فاصبحت بالنسبة اليها تهديدا اكبر.

ـ وانت، هل انت بخطر الآن؟

ـ هذا لا اهمية له. ما يهم هو ان تبتعدي من هنا! فكل دقيقة مهمة. . .

نظر الى الساعة والى شمس المغيب. بعد قليل سيعم الظلام. . . خلف هذه الباحة، باحة اخرى، مظلمة ومخيفة. وحده مصطفى يحمل مفاتيح الباب الحديدي، وماري مهمتها ان تخرج الكلاب في الليل. بدا كريم شديد القلق وقال:

ـ . . . اتساءل اذا كان من واجبنا اعلام تشارلز فيلبيه بالامر. سنكون بحاجة ماسة اليه. . .

امسكت غاي بكم سترته وقالت:

ـ لا، لا! لا اريد تشارلز! لا اريد الخروج من هنا بمساعدته!

قطب الشاب حاجبيه وقال:

ـ عزيزتي، اكون مسرورا اذا استطعت انقاذك من هذا الوضع الصعب، لكن اخشى ان يكون الامر شديد التعقيد. ربما احتجنا لمساعدة تشارلز.

ـ لديك سيارة في المرآب. الا يمكننا ان. . .

ـ بلى، اذا تمكنا من الخروج من هذه الباحة!

زئير الاسد اكد الخطر الذي يحيط بهما. . . كان كريم يتأمل غاي حالما امسكت الفتاة بذراعه من شدة الخوف، فهمس كريم:

ـ كلاب حرة بعد العاشرة مساء، اسود بامكانها ان تخرج هي ايضا اذا ما نسي اقفال القفص، خادم مخلص يملك جميع المفاتيح. . . لا جدوى من رشوة مصطفى فهو على استعداد للغرق اذا ما طلبت منه معلمته ذلك.

قالت غاي بصوت مليء بالاسف:

ـ ما كان يجب ان اورطك بكل هذا.

ضمها الرجل اليه وقال:

ـ لا تهتمي بذلك. . . وربما يوما ما، أنال مكافأة على ذلك!. . .

نظر اليها نظرة مبتسمة وجدية في آن واضاف يقول:

ـ ربما اصبح يوما ما طبيبا محترما، يعيش حياة محترمة في اسطمبول او في مكان آخر، وتكونين انت زوجتي الانكليزية الرائعة. . .

لكنها هزّت رأسها وقالت:

ـ لن اتزوج ابدا.

أجابها وهو يضغط على اصابعها:

ـ ابدا، امر طويل البعد!. . . هل هناك احد في طرف الشرفة؟. . .

كان تشارلز يقترب منهما وقال بحدة:

ـ المعذرة لازعاجكما. كنت اتنزه ولم اكن اتصور أن ألتقي بأحد هنا. . . خرجت في حوالى العاشرة، والساعة الآن الحادية عشرة. تصبحين على خير يا غاي. تصبح على خير يا آنوك!

ابتعد وحاولت الفتاة كل جهدها الا تناديه. فهي لا تتحمل ان

تراه يتعذب.

قال كريم بسرعة:

ـ يجب ان نجد حلاً. فلا وقت لاضاعته. يجب ان نذهب من هنا صباح الغد!

٩ـ من فتح الاقفاص؟

تبعت غاي نصائح كريم ونامت من دون ان تخلع ملابسها. تمددت في السرير بعدما وضعت بعض الاغراض في حقيبة السفر.

لقد اعلمها انه ربما لن يستطيع حمل امتعتها، لكن في كل حال عليها ان تكون جاهزة ابتداء من ساعات الفجر الاولى. اذا كانت ابواب المرآب مفتوحة، يضع الحقيبة في صندوق سيارته، ثم يأخذان الفطور مع البقية قبل ان يغادرا المكان هربا. لقد قال لها كريم:

ـ لو لم يكن هذا المنزل مثل قصر محصّن، تقفل ابوابه قبل شمس المغيب، لكنا ذهبنا هذه الليلة بالذات، نكون قد وصلنا الى

اسطمبول. اذن نامي جيدا فقد تحتاجين الى ذلك!

تذكرت ان السيدة لنداون وصفتها بانها فتاة حمقاء ومن دون دفاع. ربما ما قالته صحيح. كان يجب عليها ان تتدبر امرها وحدها، قبل طلب المساعدة من تشارلز. كانت حقا حمقاء عندما صرحت بما تعرفه فيما يخص الماس المهرب، وذلك تحت تأثير الغضب.

في الواقع اظهرت عن حماقتها مرتين. لقد رفضت تشارلز ومزقت رسالته التي كتب فيها انه يريد مساعدتها. ثم عندما فاجأها برفقة كريم، كانت نظرته الجريحة ما زالت تخجلها حتى الآن. كيف انها التجأت الى ذراعي كريم عندما سمعت زئير الاسود؟

لا شك ان السيد لنداون اكتشف كيف عرفت غاي الحقيقة عنها. فاليري لنداون! حاولت ان تجذب تشارلز اليها بهذا المال الحرام... ثروة كان بامكانها ان تأخذهما نحو اماكن جديدة وتفتح لهما افقا رائعا! لا منزل لهما، بل حياة تسكع ومجد!

هل ممكن ان تظل هذه المرأة تعيش حياة اجرامية من دون ان تنال العقاب؟ الن تعاقب يوما على ما تفعله؟

وتشارلز الذي كان قريبا منها، والذي سافر معها... يوما ما سيبحث عن مستقبله مثلها.

راحت تتقلب في سريرها غير قادرة ان تجد النعاس. بدا لها ان لديها الوف الاشياء التي تريد ان تفعلها، لتمنع حدوث كوارث جديدة، لكن من اين البدء؟ وما دامت غير حرة، فلا يمكنها ان تفعل شيئا.

جاء الفجر بطيء، رماديا في البدء، ثم مشعاً من قوة الشمس. في الخارج الجميع استيقظوا. اسرعت غاي الى الحمام واغتسلت. كانت تسرح شعرها عندما دخلت ماري حاملة صينية الفطور.

لاحظت الخادمة في الحال ان سرير الفتاة ما زال على حاله. فقالت لها:
- لقد استيقظت باكرا.
لم تعرف غاي بما ترد. ووجه ماري كان خاليا من اي تعبير، ومثل كل مرة، كانت تشعر بالانزعاج امامها. اضافت الخادمة تقول:
- السيدة لنسداون ترافق رولان ايف حتى اسطمبول. مساء امس قرر ان يغادر باكرا. وسيارتها تركت الباحة الآن، يقودها مصطفى. والسيد فيلبيه يرافقها.
لم تصدق غاي ما سمعته ورددت تقول:
- السيد... فيلبيه؟ والسيد... السيد آنوك؟ اين هو؟
رفعت الخادمة كتفيها وقالت:
- لم يعلمني احد بمشاريع السيد انوك، لكن سيارته ليست في المرآب. ربما ذهب في نزهة قصيرة، او ربما عاد الى اسطمبول مع الآخرين.
كانت تتساءل لماذا لم يحاول كريم ان يراها بطريقة او باخرى، ما دام الفجر قد ولى من زمان! لكن اذا ذهب حقا... اذا ذهب تشارلز ايضا!...
فجأة احتلها البرد وراحت ركبتاها ترتجفان. جلست على الفراش واصابعها متشبثة بخشب السرير المالس وحاولت ان تقول:
- لـ... لكن...
ابتسمت ماري وقالت:
- ستتمكنين من التمتع بنهار هادىء. لم تترك لك السيدة لنسداون اي ارشادات للعمل. فبامكانك اذن الا تعملي شيئا. ساكون في المطبخ وساحضر لك الغداء كالعادة.

وبعد مغادرتها ظلت غاي مذعورة وجامدة مكانها طيلة دقائق طويلة. قهوتها والخبز الساخن بردا ولم تمد يدها اليهما. سيارة كريم ليست في المرآب! لا يمكنها ان تصدق ذلك... وتشارلز الذي ذهب الى اسطمبول!
امضت غاي فترة ما قبل الظهر تتنزه مطولا في الساحات، مرتاحة الى ان معظم الابواب مفتوحة ما عدا باب المدخل الحديدي.
وظهرا قدمت لها ماري الغداء في غرفة الطعام. الصمت يعم المكان. كانت تتمنى ان تسمع صوتا ما، اي صوت، كي تشعر بالارتياح. ماري تعرف ان هذا يجعلها متوترة. فالخادمة ترتدي احذية بلاستيكية ولا احد يسمعها لدى وصولها.
وبينما كانت الخادمة توضب المائدة راحت ترمق الفتاة بنظرات ساخرة وتقول:
- لا شك ان السيد انوك عاد الى اسطمبول مع الآخرين. هذا افضل! انه لمزعج ان نترككما وحيدين معا في المنزل. فانا ساكون منهمكة في المطبخ ولا اتمكن من مراقبتكما!
وبعد الظهر، اكملت التنزه خارجا. لكنها تحاشت حتى المساء الباحة الداخلية حيث قفص الاسدين. لكن مع غياب الشمس وراء القمم المثلجة، توصلت، من دون ان تعرف السبب، الى ان تتخطى خوفها من جوبيتير وسافير ودخلت الباحة الداخلية.
الباب الازرق كان مفتوحا. لا شك ان الكلبين يتنزهان بصحبة ماري وبالرغم من قلقها، تقدمت غاي بضع خطوات نحو القفص. لا يجب ان تفكر بالكلبين... فهي وحيدة مع ماري في منزل موحش، برفقة كلبين متوحشين... لا، لا يجب ان تستسلم للخوف.

ولدى رؤية الاسدين، شعرت باعجاب صادق. انهما حقا حيوانان رائعان. كانا ناعسين كأنهما تناولا لتوهما الطعام الكثير. كانا ممدين مثل هرتين ضخمتين في زاوية القفص.

احدهما شاهد الفتاة وراح ينظر اليها ويغمز بعينيه. من وقت الى آخر ذبابة تغط على اذنيهما. وللحال يطلقان زئيرا قويا، فتطير الذبابة في الحال.

وقفت غاي على بعد خطوتين من القفص وشعرت بان جسدها تخترقه انفعالات متعددة. فجأة شعرت بالخوف. فلا تريد، بل لا يمكنها ان تعود على اعقابها هكذا. تخاف ان يستيقظا اذا سمعا صوت خطواتها ولا تريد ان تسمع زئيرهما.

اذا انتظرت قليلا، ستعود ماري مع الكلبين ولن تكون وحدها. لم يعد يهمها عدائية الكلبين وبرودة الخادمة... كل ما تطلبه الا تبقى وحدها مع هذين الحيوانين الضخمين! وفي هذا الوقت لفت نظرها شيء على باب القفص، في مكان القفل الذي يؤمن اقفال القفص. انتفض قلبها ثم بدا وكأنه توقف تماما. ذلك لان الباب لم يكن مقفلا، انما مفتوحا حوالى سنتيمتر واحد. لذلك لا يمكن الانتباه الى ذلك في الحال.

كم من الوقت بقيت غاي مسمّرة مكانها؟ من المستحيل ان تعرف. بالكاد تجرؤ على التنفس. كانت جامدة كالثلج كأن الزمن توقف.

اذا اقتربت من الباب، سيصل احد الاسدين اليه قبلها وبوزنه الثقيل ربما فتح القفص كليا. لم تجرؤ على القيام بحركة، ولم تجرؤ ايضا ان تبقى حيث هي، لان الاسد الممدد ما زال يراقبها بكسل ولا مبالاة.

تذكرت امرا ما سبق ان قرأت عنه وسمعته: اذا حدقنا بالاسد او بالنمر باستمرار، لا يحاول الحيوان الهجوم... لكن حذار من لفت انتباهه! نعم، كانت هذه الطريقة الوحيدة. سترجع الى الوراء، خطوة خطوة، مع الاستمرار في التحديق بالاسد، حتى تجد ماري، فتعرف هذه الاخيرة كيفية اقفال القفص. وبالفعل، بينما كانت ترجع الى الوراء لم يكن الاسد منتبها لذلك. المهم الا يستيقظ الاسد الثاني.

خطوة خطوة كانت ترجع غاي الى الوراء، ببطء مترقبة وصول ماري. لكن الصمت كان يشبه صدى الاماكن الصحراوية...

لم تكن الفتاة تجرؤ على الالتفات لترى اذا كانت تتوجه حقا نحو الباب. فجأة ارتطمت بجدار... راح قلبها ينبض بسرعة وهي تمر على طول الحجارة الباردة، طالبة من كل قلبها ان تجد المخرج بسرعة. اخيراً وصلت الى الباب الصغير وأطلقت بكاء ارتياح خنق حنجرتها.

قامت بخطوة الى الوراء، ثم خطوة ثانية، وراحت تركض نحو المنزل. ولم تعرف كيف وصلت الى سلالم الشرفة، صعدتها اربعاً اربعاً وطارت نحو قاعة الاستقبال. ثم دخلت الى المطبخ ورأته فارغا. كل شيء مرتب ولا شيء فيه يدل على طعام قيد الاعداد. عادة، تهتم ماري بتحضير العشاء في مثل هذا الوقت. لكن الآن الافران البيضاء تبدو كأنها لم تستعمل. لا اثر لصحن متسخ على المجلى.

تذكرت الفتاة ان الخادمة قدمت لها غداء باردا. احتلها انزعاج عميق. اين ماري؟ منذ متى ذهبت؟ متى تعود؟ هل ستعود؟

توجهت الى غرفة الخادمة. كان الباب مفتوحا. الخزائن والجوارير

مشرعة. لا شك ان ماري اضطرت ان تجمع اغراضها بسرعة. منديل على الارض وسترة بيضاء معلقة على ظهر الكرسي. لا شك ان ماري ولت هاربة!

الى اين؟ ولماذا؟

وضعت غاي يديها على صدغيها كالمجنونة. هل لما يحدث صلة بالواقع، ام انه من صنع مخيلتها؟ ربما ما زالت تحت تأثير حادث الطائرة؟ ماذا لو كان باب القفص غير مفتوح؟... وربما لا وجود للقفص كليا؟...

ظلت مذعورة فترة قصيرة. ثم، شيئا فشيئا، استجمعت عقلها وقواها، وادركت انها لا تخترع شيئا... لقد نجت نهائيا من الصدمة... حتى انها تتذكر شقتها الصغيرة التي كانت تسكنها في لندن...

اذن هذا المنزل اصبح قاحلا. الجميع غادروه ما عداها. السيدة لنسداون ذهبت واخذت معها تشارلز وورلان ايف والظاهر ان ليس بنيتهم العودة... ليس الآن في كل حال... كريم... حتى كريم تخلى عنها. كلا، لا يمكنها تصديق ذلك. ربما حدث للرجل امر كريه. لكن تشارلز! امر آخر! لقد تركها وحدها...

اطلقت نحيبا صغيرا مثل حيوان جريح. وبألم، جرّت قدميها حتى وصلت الى الاريكة. لو بامكانها فقط التفكير! ما هو الحل الوحيد؟ هل هناك من حل؟

وبالرغم عنها كانت تفكر بالقفص المفتوح. عاجلا ام آجلا، سيخرج الاسدان من خدرهما ليجدا انهما حرّان طليقان... وسيصلان الى المنزل. الابواب الزجاجية مشرعة... وربما يتنزهان الآن تحت الشرفة!

حاولت غاي جهدها ان تتحرك، بألم، مثل آلة. الصدمة خدرت احاسيسها وشعرت كأنها من حديد. جرت نفسها حتى الشرفة، بكل قواها وحاولت اغلاق النافذة، عادة مصطفى وحده قادر ان يحكم اقفال النوافذ.

راحت تلهث متعبة وتتأمل الزجاج المقفل. ألم توقع على موتها بالاقفال عليها هكذا؟ من سيفتحها من جديد؟ ومتى؟

غابت الشمس وحل الظلام وامتلأ المنزل من الداخل بالظلال...

عادت غاي الى الصالون واضاءته. شيئا فشيئا اضاءت جميع الغرف. كانت تنفذ هذه الحركات بصورة آلية محاولة التفكير. ربما ماري لم تذهب فعلا، وستعود... ربما هذا قصاص من اختراع السيدة لنسداون، كي تجن وتفقد كل رغبة في البوح بما تعرفه...

في هذه الحال، نجحت فالبري!... غاي لن تتحمل قضاء الليل بكامله وحدها في هذا المنزل مع اسدين حرين طليقين... هل سيكرن الزجاج متينا لصد هجوم محتمل؟...

فجأة تهيأ لها انها سمعت تنفسا ولهاثا تحت الشرفة. شيء ما لمس الزجاج... راحت غاي تصغي بتوتر... هناك باب داخلي. يجب ان تذهب لاغلاقه... يجب ان تنهض وتتوجه نحو الباب.

ومن جديد سمعت لهاثا. واقترب الصوت. جمد الدم في عروقها. فجأة لم تعد قادرة على القيام باي حركة. لا يمكنها ان تذهب وتغلق هذا الباب...

بدأت انوار الغرفة تدور. تمسكت غاي بالكرسي كي لا تفقد توازنها. شيء ما حطم الزجاج. وانطفأت الاضواء.

وبينما كانت تقع ارضا، سمعت من كان ينادي اسمها.

ولما عادت الى وعيها، تهيأ لها ان ساعات طويلة قد مرّت. لم تتذكر الا بغموض كل ما جرى. كانت ممدة على اريكة والنار مشتعلة في المدفأة والشعاع ينعكس على جلد النمر امام المدفأة.

بغموض راحت غاي تتأمل جلد النمر... فجأة عاد الخوف يحتلها. النمور! الاسود!... الاسد حطم زجاج نافذة الشرفة!

كانت مقتنعة بالامر الى درجة انها مدت يدها لتقبض على كم الرجل الجالس قربها. التفت اليها بعينيه الرماديتين القلقتين، وحينئذ لاحظت انه هنا، بقربها. فهمست تقول:

ـ تشارلز!... لماذ تنظر اليّ هكذا؟ انا بحالة جيدة، انا... آه تشارلز! تشارلز!

ضمها الى صدره وقال:

ـ حبيبتي. لم يعد هناك شيء تخافين منه!

ـ اذن... ليس الامر حقيقيا؟

ـ بل! انه واقعي مئة بالمئة! لكنني وصلت الى هنا في الوقت المناسب. لو وصلت قبل ذلك. لو استطعت ان اوفر عليك هذا العذاب الذهني! لقد فقدت الوعي مدة نصف ساعة! ولم اكن اعرف ما آه افعل!

ابتسمت وقالت:

ـ اشعر بتحسن كبير الآن. اردت ان اغلق الباب الداخلي، لكنني لم اكن قادرة على الحركة. تصوّرت... هذا الاسد الرهيب دخل الى المنزل! اليس كذلك؟

ـ لا، يا حبيبتي، لم يصل الى الباحة الداخلية... كنت انا الذي

يحاول ان يلفت انتباهك لتفتحي النوافذ. ولما لم تتحركي من مكانك، كسرت الزجاج.

ـ آه، فهمت. اذن سمعت فرقعة الزجاج؟

ـ نعم، وللاسف اعتقدت ان من فعل ذلك هو الاسد!

ـ قفص الاسدين كان مفتوحا!

ـ لم يعد مفتوحا. جئت بماري معي. كانت تهرب نحو القرية القريبة حاملة امتعتها معها. كل هذا جزء من خطة تم الاتفاق عليها مسبقا. وانا من يلام في هذه القصة كلها. كان يجب ان افهم ماذا كان يجري هنا من زمان. وكان بامكاني ان اوفر عليك كل دقيقة عشتها في هذه التجربة.

ـ لكنك ارسلت لي رسالة وانا فضلت عدم الاصغاء اليك!

ـ غاي، حبيبتي، هذا امر غير مدهش. لقد جعلتك تعتقدين... امورا كان بامكاني ان اشرحها لك وقت حدوثها... لكنني لم افعل ذلك. لا اعرف لماذا...

رفعت نظرها نحوه وقالت:

ـ انا اعرف لماذا. لكن لا داعي للتحدث بهذا الامر. حياتك متعلقة بك وحدك، وليس عليك ان تشرح لي المزيد.

اجابها بهدوء قائلا:

ـ انت مخطئة. انا مصرّ ان اقول لك كل شيء. اول شيء عليك ان تعرفي انني لم اكن اعانق فاليري ليلة رأيتنا في المكتبة. هل تعتقدين فعلا اني عانقتها وانا اعرف انك ستصلين من حين الى آخر؟ لا، يا غاي، مهما كانت عواطفي تجاهك، فانني لواريد ان اعذبك ابدا.

ـ ليس لدي سبب في ان اشعر بالعذاب... لكن مهما يكن، فانا

مسرورة انك.. انك لم تعانقها.
- لم اعانقها. ليس هناك حب بيننا.
- لكنها تحبك... تحبك كثيرا.
- لا داعي لهذا الكلام. ولمدة طويلة سأظل اهجس بان ادمر فاليري شخصيا كلما فكرت بها!
- وماري؟ اين هي الآن؟ هل...؟
- انها في المطبخ. امرتها بتحضير القهوة. وهي تعرف انها لن تهرب من العدالة. سنأخذها معنا الى اسطمبول متى اصبحت في حالة تسمح لك بالسفر الطويل. وبانتظار ذلك، في حوزتي كل المفاتيح المهمة... وخاصة مفتاح القفص!..
- هل كنت على علم، في مايتعلق بالسيدة لنسداون والسيد ايف؟
- كنت اشك بالامر منذ زمان، لكن لم تكن لدي البراهين الكافية للتأكد من شكوكي. ولما جئت تطلبين مني المساعدة لم يكن لدي اي اختيار. ففاليري هي الانسانة الوحيدة القادرة على مساعدتك، على ما اظن.
- وضعتك في موقف حرج.

اجابها بلطف وهو يداعب خدها:
- ليس تماما. والفضل الكبير للسيد كريم. بسببك، تلقى كدمة متورمة على جبينه، وهو الآن بطريقه الى اسطمبول ليحاول منع السيدة لنسداون ورولان ايف من مغادرة البلاد! بقي طيلة النهار مكبلا من قدميه حتى رأسه، قرب سيارته، في المرآب. هناك وجدته لدى وصولي. اجبرت ماري ان تخبرني بمكان وجوده. ولما انقذته، بقي هنا للتأكد من ان كل شيء على ما يرام وانك ستستعيدين وعيك

في اقرب وقت.

ثم صعد الى سيارته وانطلق للتفتيش عن المهربين.

اعتقد ان فاليري لن تجازف في البقاء طويلا في المدينة، لذلك فلا يجب اضاعة الوقت.

امتلأت عينا غاي بالدموع وقالت:
- عزيزي كريم! آمل ان ينجح في امتحاناته، و... و...
- تحبين مكافأته، لكنك غير قادرة على ذلك، اليس كذلك؟ هو الذي اقترح عليّ البقاء بعد ذهابه. لقد فكر انك تفضلين ان تكوني بقربي.

ازاحت الفتاة رأسها. فقد عزمت على التغلب على ضعفها وان تكون حازمة، من اجله وخاصة من اجلها.

دخلت ماري حاملة صينية وضعتها قربهما وخرجت لتوها. سكب تشارلز فنجانا وقدمه لغاي. وقال:
- غاي، علينا ان نتحدث بامر ذي اهمية كبرى.
- لا، لا!

حاولت الانتصاب ومغادرة الاريكة، لكنه امسكها بيد حازمة وناعمة فقالت:
- تشارلز، علينا ألا نتحدث بشيء... بشيء خاص! لا اريد... ارجوك، يا تشارلز!

اجابها بحنان:
- لم لا؟ لم لا، يا حبيبتي؟

نظرت اليه بشفقة وقالت:
- لا احتمل ان افسد حياتك. السيدة لنسداون على حق. في الوقت الحاضر انت تشفق عليّ، لكنني لن اكون جاهزة امامك. لا يجب ان

تخلط بين الشفقة التي تشعر بها نحوي وبشيء آخر. لقد قلت لي، انت بنفسك، ان حريتك عزيزة على قلبك، وانا لست فاليري . . . لن اكون قادرة ان اشاركك اهتماماتك بشكل جيد. . . مثلما كانت تفعله هي. . . مع الوقت ستتوصل الى كرهي. . .

شحب وجه عالم الاثريات وظهر الحزن في عينيه كأن ما قالته غاي قد جرح شعوره. اخيرا سألها:

- اذن، انت لا تصدقين انني احبك. . . من كل قلبي؟

هزت رأسها وقالت:

- كنت تشفق عليّ. وبطريقة ما، تشعر بالمسؤولية. . .

قاطعها قائلا وهو يضمها بين ذراعيه:

- بالمسؤولية نحوك! نعم! وهذا ما سأشعر به بقية حياتي! غاي، يحق لك ان تعذبيني، وان تقولي لي انك ستكونين جد سعيدة اذا اختفيت عن نظرك في الحال، لكن لا حياة لي بعيدا عنك، يا عزيزتي، يا طفلتي الصغيرة العزيزة. عرفت ذلك منذ اللحظة التي التقينا بها. حاولت ان اقاوم هذه الحقيقة، بكل قواي. . . آه، غاي، يا حبي! لو حصل لك اي شيء! لو وصلت متأخرا! لم يكن لدي سبب للعودة. لقد اكدت لي فاليري انك ذهبت مع كريم مساء أمس وكان الخبر صدمة عنيفة. ومع مرور الوقت، لم اصدق ذلك. كنت أرى باستمرار عينيك الواسعتين المتوسلتين وكنت اسمع صوتك. . . عدت لان حبي كان يقول لي انك بحاجة الى مساعدة.

كانت الفتاة تتأمله من دون ان تجرؤ على التصديق. فهمست تقول:

- كنت دائما طيبا تجاهي. ولا اريد ان ترتكب خطأ بـ. . .

- رغبتي الوحيدة ان اهتم بك، وأدللك وان تصبحي جزءا مني. مع

الوقت، كل الرجال يرغبون الشيء نفسه. . . بيت، امرأة، اولاد. . . لدي منزل في انكلترا، منزل قديم رائع يقع على ضفاف النهر.

انت ربته وانت من سيجعلني اسعد انسان في الكون. قدرك ان تضعي حدا لتشردي! . . .

- لكن . . .

- قولي لي انك تحبينني يا غاي! سمحت لي بان اعانقك مرتين، واحيانا كنت اعتقد. . .

- انت تعرف جيدا انني احبك. احبك من كل كياني!

اطلق تحيبا فرحا فأخذ وجهها الصغير بين يديه وحدق بعينيها الزرقاوين طويلا قبل ان يديها في عناق طويل مليء بالحنان والشغف. فتحت غاي عينيها اولا وامتلأ وجهها بالحب.

- تشارلز! آه، تشارلز!

همس في اذنيها قائلا:

- سنتزوج باسرع ما يمكن سأعيدك الى البك، ثم نسافر الى باريس. . . هل تخافين ركوب الطائرة معي، يا حبي؟

- لن اخاف من شيء عندما اكون معك!

- وحتى اذا ذهبنا للتنقيب عن المدن الضائعة؟ والعيش بين الركام؟

- سيكون ذلك اروع ما يكون!

داعب شعرها بلطف وقال:

- ربما يوما ما. . . لكن بعد زمن بعيد. في بادىء الامر سنقضي بضع سنوات في انكلترا، في الريف. سأزرع الارض وستتعرف الى

السعادة البسيطة كما يعيش الناس في الجبل. . . وربما يوما ما، عندما نكون بحاجة الى شهر عسل آخر، بعيدا عن الاولاد، نذهب معا، الى جهة مجهولة في طرف العالم. . .